الفصل الأول

الاستشراق وأهدافه

- الأغراض العلمية .
- الأغراض الاقتصادية .
- الأغراض السياسية .
- بعض العمليات السياسية الاستشراقية .
- الأغراض التبشيرية .
- قائمة ببعض المستشرقين من رجال الدين .
- سياسة التبشير فى أندونيسيا .
- استصلاح المسيحية .
- مذاهب الرهبنة .

الاستشراق وأهدافه

● المراد بالاستشراق :

يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق ، وأحواله وتاريخه ، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية فى كل مجتمع شرقى ، فلكل أمة مشخصاتها ، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية فى شتَّى صورها وأنواعها .

وفى عهد الإصلاح الدينى بدأ الاستشراق ينتشر فى أوروبا . ولهذا قام فى أول أمره على أكتاف المنصِّرين والرهبان ، ثم اتصل بالاستعمار .

* *

● طرائف استشراقية :

قال الأستاذ « محمد الأسعد » تحت عنوان « طرائف استشراقية » :

« والوافدون إلى المشرق منذ القرن السادس عشر لم يروا فى هذا الشرق إلا وقائع وأحداث التوراة ، فالأهرام المصرية هى خزائن القمح التى أنشأها « يوسف بن إسرائيل » ، وهليوبوليس هى المخبأ الذى استراحت فيه العائلة المقدسة ، أما العظام المبعثرة على شاطئ البحر فهى عندهم بقايا فرعون وجنوده الذين غرقوا فى ذلك المكان أثناء مطاردة الإسرائيليين .

بل ويتجاوز الفكر الإسرائيلى فى النصارى حدود العرب إلى ما وراءها ، فإن مبعوث جمهورية البندقية عام ١٤٧٢م رأى فى صورة « رستم » الذى يمثل الملك الساسانى « شابور الأول » صورة « شمشون » التوراتية .

ورأى الإنجليزى « بورنر » (١٨٠٧) نقوش بهسنون الفارسية ، فقال

عن « داريوس » الفارسى إنه « شلمنصر الثالث » ، وفسر الشخوص المائة المائلة أمامه على أنها الأسباط الإسرائيلية العشرة ، أما غطاء الرأس المدبب على رأس آخر الملوك الأسرى ففسره بأنه عمامة الكهنة المنحدرين من سبط « لاوى » .

لم يكن الأمر إذن أمر قراءة واقع ووقائع بل إسقاط وعى زائف ، وإنشاء وتدعيم أسطورة قبل كل شىء » .

ومن ثَمَّ نجد لليهود تجمعات فى إيران ، وكأنهم الطابور الخامس لزحف إسرائيل الكبرى التى تتوقع أنها ستحكم العالم ، وليس فقط من النيل إلى الفرات .

* *

● رحلة نيبهر (١٧٦١ - ١٧٦٧م) :

نشرت جريدة « كوبنهاجن بوست » فى (١٧٦١/١/٢٠) أن رحلة « نيبهر » الدانمركية هدفها مخطوطات شرقية ذات قيمة ، وهى من أجل تقدم المعارف بعامة ، ومن أجل ترجمة أكثر صحة للكتاب المقدس بخاصة .

وقد جاء فى كتاب « توركيو هانسن » أن فكرة الرحلة جاءت أساساً باقتراح من الدكتور « يوهان ميخائيليس » من جامعة « جوتنجين » قال فيه : « إن القيام برحلة إلى البلاد العربية سوف يلقى الأضواء على كل الأمور والتساؤلات المتعلقة بالدراسات اللُّغوية للكتب المقدسة .

فعلى سبيل المثال يمكن التعرف على الأشجار والحيوانات بالبلاد العربية واختبارها ومطابقتها بما جاء ذكره فى التوراة ، كما يمكن دراسة جغرافية شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة حركة المد والجزر فى البحر الأحمر كعامل كبير فى محاولة فهم موضوع الهروب من مصر .

---

(١) القبس فى ١٩٨٥/١/٣١

ثم قال « هانسن » : إن « ميخائيليس » كان مقتنعاً بأن فى العربية السعيدة - يعنى اليمن - إمكانية عظيمة لوجود آثار متنوعة شبيهة بتلك التى فى إسرائيل القديمة ، وأحسن من تلك التى فى فلسطين » .

أقول : ومن أجل ذلك الوهم كان استقرار اليهود فى اليمن أيضاً إلى أن قامت إسرائيل فهاجروا إليها ، وكان موطنهم فى صنعاء فى الأراضى التى أقيمت عليها الجامعة .

ومن هذا المنطلق كانت دراسة الدكتور « صليبة » اللُّغوية التاريخية التى انتهى فيها إلى ان الأسماء التوراتية المعروفة فى فلسطين إنما هى منقولة عن أصلها الموجود فى منطقة « عسير » التى تمتد من اليمن إلى الحجاز .

وقد جاء فى التوصيات الملكية الأخيرة لأعضاء البعثة أن عليهم شراء مخطوطات التاريخ الطبيعى والجغرافيا والتاريخ ، وشراء المخطوطات القديمة للتوراة ، ونسخ الترجمة العربية للتوراة ، وبخاصة الغائر منها فى القدم .

وعليهم أن يلاحظوا تقاليد وعادات أهل البلاد ، وبخاصة تلك التى ألقى عليها القليل من الضوء - الكتاب المقدس والتوراة اليهودية - وعليهم أن يعملوا ويكتشفوا كل شىء عن العرب والإسرائيليين والسوريين (الشوام) ، ويسجِّلوا أى اختلافات يجدونها عما جاء فى التوراة .

ولشد ما كانت خيبة البعثة عندما ذهبت إلى سيناء ، وزارت جبل المكاتب ، ولم تجد إلا النقوش الفرعونية ، ولا آثار لليهود أو العبرانيين ، وقد اتهم عضو البعثة « ڤون هاڤن » العالم اللُّغوى بالإهمال .

ورغم أن « نيبهر » (١٧٣٣ - ١٨١٥) ذهب بنفسه إرضاءً للإرادة الملكية ، وعاد بمثل ما عاد به صاحبه « ڤون هاڤن » ولكن ضغط التوراة أو العهد القديم على الأوربيين يجعلهم يتنكرون للحقائق والبحوث العلمية ويمعنون مع أساطير التوراة وكتابها .

* * *

أهداف الاستشراق

تنوعت أهداف الاستشراق وهى تدور على المحاور الآتية :

١ - الفائدة العلمية .
٢ - الأغراض الاقتصادية .
٣ - الأغراض السياسية .
٤ - الأغراض التبشرية .
٥ - استصلاح المسيحية .

● **الأغراض العلمية :**

كان الغرض الأول من دراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه . فقد رأت أوروبا أنها لا تستطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربى المسيطر على أوروبا إلا بالعلم الذى أقام عليه المسلمون فتوحهم وحكمهم .

وكان هذا المنزع الأوروبى بعد أن تحول حكام المسلمين إلى مجرد ملوك ، إذ وضعوا مصاحفهم ورسالة الإصلاح جانباً ، وأحلّوا رؤوسهم تيجان الملك الوراثى الذى لا يعرف له رسالة خارج دائرة القصر والحشم .

وقد أدرك رجال الدين المسيحى أنه لا يفل الحديد غير الحديد ، وأن الإسلام لم يغزهم إلا بالعلوم التى تربَّع على عرشها المسلمون بينما جثت أوروبا تحت أقدامهم .

ولهذا فإننا نرى فى فجر الاستشراق انكباباً واضحاً على العلوم الكيميائية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان ، ولهذا تأسست الجمعيات العلمية فى معظم الدول الغربية ، وهو غرض علمى يستهدف انهاض الغرب ، كما يستهدف إنقاذ المسيحية وتطوير العمل لها فى نفس الوقت ، ومع هذا فقد أفصح « يوهان فيوك » عن الهدف فقال : إن الاستشراق لم يكن عملاً علمياً محضاً ، بل إن المراد منه هو الرد على

الإسلام ، والتبشير بالنصرانية بين المسلمين ، ذلك بتراجم عربية للإنجيل ؛ وذلك فى كتابه « تاريخ الاستشراق والمستشرقين فى أوروبا بدءاً من القرن التاسع عشر » وقد نشره سنة ١٩٤٣ ، ثم وضع رسالة أخرى عن الدراسات العربية فى أوروبا سنة ١٩٥٥ لتأكيد المعنى .

* *

• نماذج من المؤلفات التى نشرها المستشرقون :

نقل المستشرقون من مؤلفات الشرق الإسلامى كثيراً من الكتب ذات الشأن سواء فى الدين الإسلامى أو المسيحى أو فى العلوم أو التاريخ أو اللُّغة أو المواد الفلسفية . . وإليك بعض النماذج :

* فى الفلك والجغرافيا :

١ - صورة الأرض : لمحمد بن جابر البتانى - نشره « لولوفيل » .

٢ - زبدة كشف الممالك : للظاهرى - نشره « رافيس » .

٣ - جغرافية أبو الفداء : لأبى الفداء - نشره « جوبار الفرنسى » .

٤ - كشف الممالك والأوزان الشرعية فى الإسلام - نشره « دى ساسى » .

٥ - الجداول الفلكية من الزيج الحاكمى - نشره « برسفال » سنة ١٨٤٧ .

٦ - الإدريسى فى الجغرافيا بخرائطه فى جزئين - نشره « جوبير » فى عام ١٨٣٦ وعام ١٨٤٠

٧ - كشف المسالك والممالك : لعبد الله القرطبى - نشره البارون « دى سلان » سنة ١٨٧٩

٨ - رحلة ابن جبير - نشره البارون « دى سلان » سنة ١٨٧٩

٩ - الزيج الحاكمى - نشره البارون « دى سلان » سنة ١٨٧٩

١٠ - رحلة ابن بطوطة - نشره « بفرمى » و« سانفنياتى » .

١١ - الخطط : للمقريزى - نشره « چاستون فييت » .

١٢ - وصف مصر : لعمر بن محمد الكندى - نشره « أويسترب » .

١٣ - البلدان : لليعقوبى - نشره « چاستون فييت » .

١٤ - صفة جزيرة الأندلس فى العصور الوسطى من كتاب الروض المعطارة - نشره « لفى بروفنسان » .

١٥ - طرفة فى خطوط الشام ووصف أبنيتها - نشره « سوڤير » .

١٦ - نظم الجواهر : لسعيد البطريق - طبع فى أكسفورد سنة ١٦٥٩ ونشره « بوكوك » الإنجليزى .

*

* فى التاريخ :

١ - تاريخ سيطرة العرب على إسبانيا : للنويرى - نشره « جاسبار ريميرو » (١٨٦٨ - ١٩٢٥) .

٢ - واسطة السلوك فى سياسة الملوك : للسلطان موسى بن حمو الثانى - نشره وترجمه للإسبانية « چاسبار ريميرو » .

٣ - تاريخ بيت المقدس والخليل : لمجير الدين - ترجم بعض فصوله « سوڤير » .

٤ - غانة - ترجمه للفرنسية « چوبير » .

٥ - بيروت : لصالح بن يحيى - نشره « چان سوفاجه » .

٦ - خيول بريد الممالك : لصالح بن يحيى - نشره « چان سوفاجه » .

٧ - الدرر المختارة : لابن الشحنة - نشره « چان سوفاجه » .

٨ - البدء والتاريخ (٦ أجزاء) : لابن المطهر المقدسى - نشره « هيار » .

٩ - طبقات الأمم : لصاعد الأندلسى - ترجمة « رجيس لويس بلاشر » .

١٠ - أخبار الملوك : للملك المنصور صاحب حماة - نشره « مارسيه » .

١١ - إسبانيا المسلمة : لابن الخطيب - نشره « لفى بروفنسال » .

١٢ - مذكرات عبد الله آخر ملوك غرناطة الزيريين - نشره « لفى بروفنسال » .

١٣ - البيان : لابن عذارى عن تاريخ إسبانيا المسلمة فى القرن الحادى عشر الميلادى - نشره « لفى بروفنسال » .

١٤ - مختصر الدول : لابن العبرى مع ترجمة لاتينية له - نشره « بوكوك » الإنجليزى سنة ١٦٦٣

١٥ - المجموع المبارك فى التاريخ : لابن العميد مع ترجمة لاتينية له .

١٦ - صلة الصلة . . تقويم للسير الأندلسية فى القرن الثالث عشر الميلادى - نشره « لفى بروفنسال » .

١٧ - وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين - نشره « لفى بروفنسال » .

١٨ - بلوغ المرام فى تاريخ دولة بهرام - ترجمه للفرنسية « كترمير » .

١٩ - تاريخ بنى الريان ملوك تلمسان - نقله « الأب بارجيس » .

٢٠ - تاريخ القبيسى - نقله الأب « بارجيس » .

٢١ - تاريخ بنى حلاب سلاطين طوغرت : للحاج محمد الإدريسى - نقله « الأب بارجيس » .

٢٢ - مروج الذهب : للمسعودى - ترجمة « دى كورثاى » .

٢٣ - تاريخ الدولة الأتابكية : لابن الأثير الجزرى - نشره « البارون دى سلان » و« دى چين » .

٢٤ - العمى المشهورون فى الشرق : للصفدى - نشره « مرسييه » .

٢٥ - تاريخ مصر . . عهد الفاطمين من تاريخ ابن الميسر - نشره « ماسه » سنة ١٩١٩ .

٢٦ - نظام ديوان المهردار : لابن الصيرفى - نشره « فنيان » .

٢٧ - تاريخ الموحدين : لعبد الواحد المراكشى - نشره « فنيان » .

٢٨ - الحفصيين : للزركشى - نشره « فنيان » .

٢٩ - رسائل ملك غرناطة : « أبى الحسن على » إلى « دون دياجو القسطلى » نشره « هيار » .

٣٠ - الخطط : للمقريزى - ترجمة « كزابوفا » .

٣١ - عيون التواريخ : لمحمد بن شاكر - نشره « سوڤير » الفرنسى .

٣٢ - متن المقرى عن تاريخ وأدب الأندلس العربى - نشره « ديجا » الفرنسى .

٣٣ - الوافى بالوفيات : للصفدى - نشره « ديفرمرى » و« سانفيناتى » .

٣٤ - بُغية الطلب فى تاريخ حلب - نشره « مرسييه » .

٣٥ - نُبذة عن كأس سحريه أهديت لصلاح الدين ، والألقاب الملكية ، وسماحة صلاح الدين - نشره « مرسييه » .

٣٦ - البيان المغرب فى تاريخ إسبانيا وإفريقيا - ترجمة « فنيان » .

٣٧ - كامل التواريخ : لابن الأثير - نشره « فنيان » .

٣٨ - تاريخ السودان : لعبد الرحمن التومبكتى - نشره « هودا » .

*

* فى العلوم والطب :

١ - الأطباء المذكورون فى ابن أبى أصيبعة - نشره « ديفز مرى » و« سانفيناتى » .

٢ - فصول فى الطب والعلاج العربى - نشره « ديفز مرى » و«سانفيناتى » .

٣ - الآلات والحيل : لهيرون الإسكندرى مستنداً إلى قسطا بن لوقا - نشره « البارون دى فو » .

٤ - الآلات المفرغة الهواء والمائية : لفيلون البيزنطى نقله من العربية - نشره « البارون دى فو » .

٥ - كتاب يبحث فى الساعات المائية وعلى المجسطى : لأبى الوفاء البوزجانى - نشره « البارون دى فو » .

٦ - الصلة الموسيقية : لشرف الدين - نشره « البارون دى فو » .

٧ - تعليمات لتاريخ العلوم - نشره « البارون دى فو » .

٨ - الكرويات : تصحيح يحيى بن محمد المغربى - نشره « البارون دى فو » .

٩ - الفرغانى فى الطب - ترجمه المنجم « وروميو » .

١٠ - أسماء النباتات المختلفة : لابن العوام - ترجمه « موللە » فى جزئين .

١١ - مفردات ابن البيطار - ترجمه « د . لكلر » .

١٢ - النحل : للسجستاتى - ترجمه « برتولومبو » وكذا « لازينيو » الإيطاليان .

١٣ - طبقات الأطباء : لابن أبى أصيبعة - ترجمه « د . لكلر » .

١٤ - ملخص فى الطبيعيات : للقوينى - ترجمه « موللە » .

١٥ - رسالة الصنامرى فى دودة القز - نشره المستشرق « مرسيل » الفرنسى .

١٦ - رسالة الفلاحة : لابن العوام (٣ أجزاء) - نشره المستشرق « مرسيل » الفرنسى .

١٧ - رسالة فى السموم : لابن ميمون - نشره المستشرق « مرسيل » الفرنسى .

١٨ - الطبعيات العربية فى القرن الحادى عشر - ألفه المستشرق « مرسيل » الفرنسى .

١٩ - حمام الزاجل : لابن الصباغ - نشره « دى ساسى » .

٢٠ - كشف الأسرار : لابن غانم المقدسى - نشره « دى ساسى » .

٢١ - كامل الصناعتين فى تربية الخيل - نشره « جوبير » .

٢٢ - ملخص الجامع الكبير : لابن البيطار - نشره « سوڤير » .

٢٣ - الأشربة : لابن قوتية - نشره « كى » .

*

❊ فى الأساطير :

ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية « ألف ليلة وليلة » ، ويعرف باسم الليالى العربية - وطبع منه ثلاثمائة طبعة خلال القرن التاسع عشر فقط ، وقامت حوله دراسات وبحوث - كـ « مائة ليلة وليلة » : عثر عليه « كود غراى ديموميين » الفرنسى ونشره بالفرنسية فى باربس سنة ١٩١١ ، وهو ذو أصول هندية وترجم إلى الفارسية ، ومنها إلى العربية .

❊

❊ فى الرياضة :

١ - مخطوطات الرياضيين الإسلاميين - نشره « كروازه الألمانى » .

٢ - الرياضيون المسلمون - ألفه « كراوزه » الألمانى (طبع برلين عام ١٩٣٦) .

❊

❊ فى الفلسفة :

ترجموا ونشروا الكثير . . ومن ذلك :

رسالة حى ابن يقظان - نقله إلى اللاتينية « بوكوك » الإنجليزى فى القرن السابع عشر الميلادى .

وتطبع الجمعية الشرقية الأمريكية كل عام عدة بحوث إسلامية ، وفى مكتبة مجلس النيابة الأمريكى فى واشنطن زهاء نصف مليون مجلد فى اللغات الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية ، وهكذا فى المكتبات الخاصة بالجامعات الكبرى ، وأنا شخصياً استفدت من مكتبة جامعة « هارفارد » فى « بوسطن » .

ولتشجيع البحث وجد مركز البحوث الأمريكى فى القاهرة ، ومعهد الدراسات الأسبانية فى طهران ، وما يماثلها فى صنعاء واليمن واستنبول فى تركيا ، ونرجو أن يكون فائدتها أكثر من غزوها الفكرى .

وكان لثورة إيران ومن قبلها حركة الإخوان فى فلسطين والقنال ثم صمودهم رغم مجازر عبد الناصر والسادات لهم مؤذناً بالبحث عن الإسلام .

❊ ❊

● **المكتبات والمخطوطات :**

أرسل الملك « لويس الرابع عشر » عام ١٦٧١ رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات ، وزوَّد مبعوثيه بأوامر شريفة إلى جميع القناصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم فى خدمة هذه الغاية [١] .

لقد تنافس المستشرقون فى جمع التراث العربى واقتناء الكتب الإسلامية والشرقية بوجه عام ، واغتنموا فرصة سيادتهم على الشرق عند اضمحلاله فصادروا مخطوطات المساجد والتكايا ، واشتروا بثمن بخس دراهم معدودة ما لدى الأفراد ، وقامت مؤسسات ومطابع على خدمة هذا التراث لصالح الغرب ، وفى الحقبة ما بين سنة (١٩٢٤ - ١٩٢٩) كان الدكتور « منجان » يجمع من الشرق الأدنى ما يستطيع جمعه من المخطوطات ، ثم جعل لها مع مجموعات أخرى لغيره فهرساً خاصاً . كما قام « مرجليوث » بعمل فهرس آخر لمخطوطات أخرى ، ومن أشهر المكتبات التى تضم ذخائر الثقافة الإسلامية والشرقية مكتبات كل من برلين وباريس وميلانو وروما ولندن وليبزج وليدن وأكسفورد وكمبردج وميونخ ودبلن وأدنبرة ولينينجراد ومكتبة الجمعية الآسيوية البريطانية والأسكوريال ، وقد ضمت هذه المكتبات وأمثالها ما يربو على مائتين وخمسين ألف مجلد [٢] ، ولكل من هذه الخزائن نُظَّار نظموا فهارسها ورتَّبوا مخطوطاتها وذكروا أوصافها وترجموا لمؤلفيها [٣] ، وتُعَد مكتبة « بودلى » التى تأسست عام ١٦٠٣ من أهم المكتبات المختصة بالمخطوطات فهى تضم (٣٢٧٤) مخطوطة ، وتليها مكتبة المتحف البريطانى التى أسست بعد المكتبة البودلية بمائة وخمسين عاماً .

ولقد أسس « دى كاستل برانكو » مكتبة خاصة للمخطوطات العربية وخلَّف وراءه خمسة أولاد كلهم يُحسن العربية ، كما أنفق أسقف نابيو « جوستينيانى » ثروته على جمع المخطوطات العربية واشتهر بها حتى إن

---

(١) المستشرقون والإسلام : لزكريا هاشم ص ٢١

(٢) فى الأدب الحديث : لعمر الدسوقى : ١/ ٣١٤

(٣) المستشرقون ص ٢٥ - الطبعة ثانية .

« فرانسوا » استخدمه لتدريس العربية ، وفى سنة ١٥٩٣ طبع قانون ابن سينا فى الطب ، وكتاب النجاة ، ورسائل فى المنطق والطبيعة ، والكلام للرازى ، وتحرير إقليدس للطوسى .

وبإيطاليا عديد من المكتبات الغنية بالمخطوطات العربية والعبرية وأغناها مكتبات « امبروزيانا » فى ميلانو والڤاتيكان وبالاتينا .

ففى مكتبة « امبروزيانا » من المصاحف المختلفة الخطوط نحو (١٤٠٠) عدا مجموعة القوانين العربية التى تبلغ (١٨٤٦) مخطوطة ، ومن الكتب الدينية ما يربو على (٧٠٠٠) مخطوطة ، عدا دواوين الشعر وكتب الفقه والتاريخ والجغرافية والطب والفلسفة .

وفى مكتبات روسيا كان يوجد عند الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ (خمسون ألف) مخطوطة .

وذلك عدا مكتبة كيميائية ومكتبة « نانيانا » ومكتبة « البندقية » التى اقتناها « روفائيل جروه » السورى ، ومكتبة بولونيا ، ومكتبة نابولى ، ومكتبة بالرمو الوطنية ، والمكتبة الوطنية لمجمع العلوم فى « تورينو » ، ومؤسسة « كايتانى » ، ومكتبة « جوريزيا » ومحفوظات مالطة ، والمكتبة المديتشية التى أسسها الكردينال « فرديناندو دى مديتش » فى فلونسا .

* * *

مراكز للتعريف بالشرق والثقافة العربية

مع تطور الزمن والثقافة الشرقية ، وجدت بالغرب مراكز كثيرة مهمتها التعريف بما فى الشرق من حضارات قديمة وحديثة ومن ذلك :

● معهد العالم العربى فى فرنسا :

يقع المعهد فى باريس ، وقد أصبحت مصر عضواً فيه منذ عام ١٩٨٩ ، وقد حضر رئيس المعهد « ادجار بيزانى » إلى مصر فى مارس ١٩٨٩ ، وشهد فيلم « الآلات الموسيقية الشعبية » ، وقال : « إنه فيلم متخصص فى موضوعه » ، وقد اشتراه المعهد ليعرضه فى دور السينما الفرنسية كنموذج لفيلم مصرى تسجيلى .

وقال : « إن مهمة المعهد تعريف المواطن الفرنسى والأوروبى بثقافة وفنون العالم العربى وبخاصة مصر ، ليعرف العالم كله مدى التقدم الذى وصلت إليه ألوان الثقافة والفن فى مصر » .

وقد أقام معرضاً للآثار المصرية - الفرعونية ، والقبطية ، والإسلامية - افتتحه الرئيسان الفرنسى والمصرى « ميتران » و« مبارك » لإبراز الوجه الحضارى المتقدم للعرب والإسلام ، وكان عنوان المعرض « مصر عبر العصور » وكان ذلك فى يوليو ١٩٨٩

ويضم المعهد مكتبة ومتحفاً للموسيقى والخيَّالة فى العالَم العربى ، وقد قام المعهد بتكليف (١٦ داراً) من دور النشر الفرنسية بترجمة أعمال متنوعة عن العالم العربى ، لأنه ذو صلات كثيرة بفرنسا .

وقد أقام المعهد فى سبتمبر ١٩٨٩ معرضاً لكاريكاتير الفنانين العرب اشترك فيه عدد كبير من الفنانين من مختلف الدول العربية ، وكان من بينها مصر .

وصدر فى باريس « أطلس العالم الإسلامى من عام ١٥٠٠ - حتى القرن العشرين » ، وقد شارك فى إعداده الفرنسيَّان : « فرانسيس روينسون » و« بيتر براون » .

وضم الأطلس ثلاثة موضوعات رئيسية هى :

* الصراع بين المؤمنين وبين السلطة فى العالم الإسلامى .

* الصراع بين المسلمين وبين الكفار أثناء نشر الإسلام فى مناطق جنوب شرق آسيا وإفريقيا .

* أوجه الاتفاق فى المذاهب الإسلامية المختلفة .

* ثم حديث عن الصوفية ، وبخاصة الزعيم الصوفى « جلال الدين الرومى » .

وبالإضافة إلى ذلك تعريف للبسملة التى يستهل بها المسلمون كل عمل هام يقومون به (١) .

* *

● **بين القصرين لنجيب محفوظ :**

ترجمت دار « لاتيس » الفرنسية رواية « بين القصرين » ، وهذه هى الترجمة الثالثة لها بعد ترجمتها إلى الإيطالية والإنجليزية والصينية والروسية والسويدية والمجرية والإسبانية .

* *

● **الرحلات العلمية :**

الرحلة إلى العلم أسلوب عرفه المسلمون من أول يوم ، وقد عرفته أوروبا لأول مرة فى القرن الخامس عشر ، فقد قصد « اندره مونكاجون بلو » الإيطالى دمشق فتضلع من العربية وأتم علمه برحلة قام بها إلى لبنان ومصر وفارس وآسيا الصغرى ، وعاد إلى مدرسة « باودى » لمؤسسيها العرب ، فشرح فلسفة ابن سينا ورأى أن ترجمته فى بلاط « فردريك الثانى » لم تكن صحيحة فصححها ، ثم تتابعت الرحلات فزار لبنان « روجيه سبتيه » ، وزار « شاتو بريان » القدس ، وزار « رينان » لبنان ... وغيرهم كثيرون (٢) .

* *

---

(١) الأهرام - وغيره من الصحف - فى ٥/٥/١٩٨٩ (٢) المستشرقون ص ١٥٢ ، ٣١

● منابر اللُّغة العربية واللُّغات السامية :

فى سنة ١٥٣٠ أنشأ « فرانسوا الأول » معهد فرنسا بباريس وأعد فيه منبراً لتدريس العربية واليونانية ، وفى سنة ١٥٨٧ جدد « هنرى السادس » منبر العربية فى معهد فرنسا . وفى أواخر القرن السابع عشر اشتهر فى جامعتى « أكسفور » و« كمبردج » عدد من فطاحل المتخصصين فى العربية ، أمثال « توماس جريوز » و« إبرهام ويلوك » و« صموئيل كلارك » ثم « بريان ولتون » ثم « دلى لفتوس » العلام الإيرلندى المشترع ، ودفع ذلك الجامعتين إلى تأسيس منصبين جديدين للُّغة العربية ، وقبل أن ينقضى القرن الثامن عشر كانت جامعة « أكسفورد » قد أعدت مطبعة عربية لنشر أنفس المخطوطات العربية ، وظهر أول كتاب فى « قواعد اللُّغة العربية » لأربانيوس - ليدن سنة ١٦١٣

وفى مطلع القرن التاسع عشر أنشىء منصب للعربية فى جامعة لندن ، ثم كان للعربية منابر ومجلات فى سائر البلاد التى اتصلت بفرنسا كالجزائر ومراكش ثم مصر وسوريا ولبنان [١] . كما أنشئت منابر لتدريس العربية فى أشهر جامعات روسيا كجامعة قازان سنة ١٨٠٧ ، وموسكو سنة ١٩١١ ، وبطرسبرج سنة ١٨١٨ ، والمدرسة التهذيبية العليا سنة ١٨١٩ ، والكلية الأرمنية « لازارف » ،ومعهد الرهبان الأرثوذكس بقازان ومنبره أنشىء بدلا من منبر العربية بجامعة قازان ، وقسم اللُّغة العربية بمعهد « بوليتكنيك » بلندن .

وفى أسبانيا يوجد المعهد الاسبانى العربى للثقافة بمدريد ، والجمعية الإسبانية للمستشرقين ، وجمعية فرسان المستعربين « موثارابيس » ، والمعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد .

وقال الأستاذ « لامنسون » (١٨٥٧ - ١٩٣٤) : « إن تاريخ الأدب جزء من تاريخ الحضارة ، فالأدب مظهر لحياتنا القومية » [٢] وكما قال العرب : الشعر ديوان العرب .

---

(٢) المستشرقون ص ٢٨ ، ٢٩ (٢) النقد المنهجى : للدكتور مندور ص ٣٩٧

وقال « أنطوان مابيه » (١٨٦٦ - ١٩٣٦) : « إن علم اللِّسان جزء من علم الاجتماع ، واللغة العربية تستند - ككل ظاهرة اجتماعية - إلى سلسلة لا نهاية لها من وقائع الماضى ، ومن ثَمَّ كان علم اللِّسان - كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى - علماً تاريخياً على نحوٍ ما » [١] .

* *

● معاهد اللُّغات الشرقية :

فى جامعة برلين الحرة يوجد معهد العلوم الإسلامية فى برلين الغربية ، وفى فبراير ١٩٨٥ عقد بإشرافه المؤتمر الثانى لترجمة الأعمال الأدبية بين مصر وألمانيا ، اشترك فيه وفد من أساتذة اللُّغة الألمانية بالجامعات المصرية .

وقد أنشئت فى العواصم الكبرى بأوروبا وأمريكا مدارس للغات الشرقية يقصد إليها الغربيون ، وبعض المبعوثين من الشرق ، ليتلقوا من المستشرقين دراسات فى الآداب الشرقية ، ومن أشهر هذه المعاهد مدرسة اللغات الشرقية بكل من لندن وباريس وبرلين ، وتضم كل مدرسة مكتبة قيمة ، وتهتم باللَّهجات والأصوات اللُّغوية ، وفى مدرسة لندن دراسة لما يزيد عن ثلاثين لغة شرقية .

فى عام ١٧٣٢ أنشأ الأب « ماتيو ريبا » المعهد العالى للغات الشرقية فى نابولى بإيطاليا ، ثم أنشىء المعهد البابوى للغات الشرقية وألحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية ، ثم تبعه مؤسسة « كايتيانى » والمعهد الشرقى المنشأ فى روما سنة ١٩٢١ والذى يتولى نشر مجلة « الشرق الحديث » [٢] ، وكل ذلك من أجل الإلمام بالثقافة الإسلامية وإيجاد دعاة للمسيحية على العلم بكل المداخل إلى الفكر الإسلامى والقلوب الإسلامية .

وفى مصر - على سبيل المثال - كلية اللاهوت الإنجيلية ، وهى تعادل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وتخضع لإشراف جامعة « برنستون » بالولايات

---

(١) المرجع الساق ص ٤٢٩ (٢) المستشرقون ص ٥٢ - الطبعة الثالثة .

المتحدة الأمريكية وعدد أساتذتها (١١) ، والوطنيون منهم بنسبة (١ : ٢) من الأمريكان ، وعدد جميع الطُلاب حتى أوائل الستينات فى جميع المراحل (١٦ طالباً) فقط يدرسون العبرية واليونانية ثلاث سنوات كما يدرسون الردود على الإسلام بدراسة كتب المستشرقين [١] .

* *

● **الجامعة اليسوعية :**

وفي بيروت الجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف) تُوجَّه دينياً من الڤاتيكان ، وسياسياً من فرنسا ، ويتبعها معهد الآداب الشرقية الذى يشرف عليه المستشرق الفرنسى الأب الدكتور « ميشيل آلار » ، ولا يقبل اليسوعيون أىَّ مسلم للتدريس فى مؤسساتهم إذ يقولون : « إن المبشر الأول هو المدرسة » [٢] .

وفى عام ١٩٥٤ كان بأمريكا كليات تدرس اللُّغة العربية صيفاً للراغبين ، ثم أسهمت مؤسسة « فورد » فى هذه النفقات بعد عام ١٩٦٠ ، ثم الحكومة الأمريكية .

وفى عام ١٩٦٧ كان بأمريكا ستون جامعة وأربعون مكتبة وثمانية عشر مركزاً ، جميعها تهتم بدراسة الشرق الأوسط ، قامت بتدريس (٥٠٠) منهج لثمانية آلاف طالب .

وفى عام ١٩٧١ قدمت أكثر من ستين كلية وجامعة مناهج منظمة ، لا دروساً متفرقة ، وتقدم ثلاث برامج خارج نطاق الجامعات لتعليم اللُّغة العربية تابعة للحكومة ، ويلاحظ أن المدرسين بمراكز دراسات الشرق الأوسط فى أربعة منها من اليهود ، وفى سبعة منها من العرب ، وفى ثمانية من مجهولى الشخصية .

وبعد حرب أكتوبر (١٩٧٣) واستعمال سلاح النفط انخفض عدد المنح التى

---

(١) المستشرقون والمبشرون فى العالم الإسلامى ص ١٣

(٢) مجلة المجتمع الكويتية : ١/ ٥/ ١٩٧٥

يقدمها مشروع « التعليم من أجل الدفاع القومى » إلى الطلبة وأعضاء هيئة التدريس فى بعض مراكز دراسات الشرق الأوسط ، وانقطع تماماً من غيرها ، وفى الوقت نفسه نجد اهتمامات حكومية أكثر بشئون المنطقة .

وهذا التناقض يحتاج التأمل من العرب عند تعاملهم مع أمريكا أهمِّ الدول التى أثَّرت فى السياسة العربية تحت مظلة سياسة « الانفتاح » فى مصر ، وسياسة « السلام فى الشرق الأوسط » .

* *

● فى الولايات المتحدة الأمريكية :

يوجد أكثر من (٢٥) كلية جامعية تتخصص فى الدراسات الشرقية العربية ، إذ يُقدَّر عدد المسلمين بنحو ثلاثة ملايين على الأقل نصفهم - تقريباً - من العرب الذين بدأت رحلاتهم من الشام فى نهاية القرن الثامن عشر إلى جنوب البلاد طلباً لحياة اقتصادية أفضل ، ثم تكاثر الفلسطينيون بعد نكبة (١٩٤٨) وتكرر نفس الوضع بين عامى (١٩٥٨ - ١٩٦١) بالنسبة للمصريين بعد اعتقال الإخوان وتعذيبهم ، وهكذا هاجر كثير من العراقيين بعد مسلسل الانقلابات التى بدأت بانقلاب عبد الكريم قاسم .

ومن أهم المعاهد بالولايات المتحدة معهد « هارتفرد » فى ولاية « كانتيكت » ، ومؤسسة « برنستن » للعلوم الدينية ، والاثنان تابعان لملل بروتستانتينية تبشر به ، وكل الذين درسوا القليل عن الإسلام من اليهود والنصارى فى إطار من الفهم الصليبى المملوء حقداً ، وكان « فيليب حتى » و« ادوارد » من العرب الأمريكان فى جامعة « برنستن » من المسيحيين المنصفين للإسلام رغم ما أُخِذَ على بعضهم من أخطاء .

ومما ساعد على التغرير بالإسلام مجلة العالم الإسلامى التى تصدرها

جامعة « هارتفرد » ، وشجعت بعض المؤسسات على التخصص فى اللغات الشرقية والآداب الإسلامية مثل « فورد » و« روكفلر » و« كرنيجى » ، ونحو ٥٠ مؤسسة أخرى تساعد هذه الأقسام

* *

● المعهد الغربى للثقافة الإسلامية بإسبانيا :

نظم فى مدينة « تيرويل » بإسبانيا فى المدة من (٢٢ - ٢٥ سبتمبر ١٩٨٨) مؤتمراً احتشد فيه عدد كبير من الباحثين العرب والأوروبيين ، وبخاصة الإسبان ، لإلقاء المزيد على الطابع الفريد للحضارة الإسلامية فى إسبانيا ، فقد كان المعهد أعد برنامجاً طويل المدى ، يهدف إلى شد الانتباه إلى أمرين معاً : التوازيات الثقافية والتنوعات الثقافية بين تراث المسلمين فى الأندلس ، وتراث المناطق المجاورة لها ، وقد كان وراء ذلك ثراء الثقافة الإسلامية على وجه العموم ، والثقافة الإسلامية فى عصرها الأندلسى على وجه الخصوص .

وقد ركز المؤتمر فى ذلك العام على تأثير الحضارة الإسلامية على منطقة « أراجون » وهى المنطقة الواقعة شمال منطقة الحضارة الإسلامية الأندلسية ، وقد دأب سواد المؤرخين - حتى وقت قريب - على تجاهل فضل الحضارة الإسلامية على منطقة « أراجون » ، ولكن هذا التأثير واضح فى غنى وتنوع العناصر ذات الأصل الإسلامى فى حضارة « أراجون » .

ومن ذلك مثلاً : أسماء الأماكن ، وأساليب الزراعة ، والتعبيرات التقليدية ، أو ما يُعرف باسم « العجمة ، كما تُنطق بالعربية ومثلها فى الأسبانية : (Aljoma) - وهى لغة أهل الأراجون المسلمين ، مكتوبة بالحروف العربية .

وكان من المقرر أن يشارك فى المؤتمر من العرب محمود على مكى (القاهرة) ، ومحمد بن شريف (الرياض) ، وأحمد على مرسى(المعهد المصرى للدراسات الإسلامية) ، وخالد ماغوط (حلب) ، وكوكبة من الباحثين

الأوروبيين ، من بينهم « خوليو سامسو » (برشلونة) ، و« يواقيم لوميا » (سراقوسة) ، و« أفريكه نيورى » (مدرسة المعماريين بمدريد) .

* *

● **معهد الاستشراق السوفييتى :**

ويوجد به حتى العام (١٩٩٠) علماء متخصصون يطلق عليهم وصف « ايرانو لوج » أى المتخصصون فى الشئون الإيرانية ، بحكم قرب إيران من الحدود السوفييتية ، مثل العلماء المتخصصين فى المصريات بآثارها وعاداتها من علماء الغرب .

ولا غرابة فى ذلك فإنه لا يفصل إيران عن روسيا الآسيوية سوى بحر قزوين ، الذى تقع عليه « باكو» عاصمة « أذربيجان » التى زارها بعد إنهيار النظام الشيوعى للاتحاد السوفييتى « على أكبر هاشمى رافسنجانى » ، رئيس الشورى فى إيران فى أواخر يونية ١٩٨٩ ، ودعا أهل مسجدهم إلى زيارة « المسجد المقدس » فى مدينة « مشهد » .

* * *

ندوات

● ندوة بمدينة الأسكوريال :

وقد عقد بمدينة « الأسكوريال » فى « مدريد » حلقة دراسية عن العالَم العربى ، وكان من أبرز المتحدثين فيها الدكتورة « كارمن رويث برابو » المستعربة الأسبانية ، وقد تحدثت عن أهداف هذه الحلقة فقالت :

* أهداف الندوة :

إن من بين الأهداف فتح أبواب جديدة للمهتمين بالثقافة العربية ، سواء فى إسبانيا أو غيرها من الدول ، وذلك لأن العالم العربى صار فى يومنا هذا مصدراً للأخبار اليومية التى تمتاز بطابع المأساوية والحروب من أمثال حروب « العراق وإيران ، أو العراق والكويت ، أو العراق والأكراد ، أو إسرائيل والدول العربية المجاورة ، أو الصومال ، أو أريتريا ، أو البربر والمغرب ، أو السودان شماله وجنوبه » .

ولم يصاحب أخبار هذه القوى المتفجرة شىء عن ثقافة هذه البلاد ، فاستكمالاً للمعلومات عن المنطقة العربية عقدت الندوة ، واشترك فيها متخصصون يقدمون لنا دراسات تعتمد على الإحصائيات العلمية ، والتوجهات الفكرية وأقطابها ، وكانت قد نشطت دور النشر فى أوروبا - وبخاصة اسبانيا - فى ترجمة معالم الفكر الأدبى والسياسى المعاصر ، وترجمة عن منتجيه مثل نجيب محفوظ فى « زقاق المدق » ، الذى صدرت له تسع طبعات منذ حصوله على جائزة نوبل ، إلى جانب أعمال أخرى له نحو عشرة ، لتكوين صورة متكاملة - بتحليلها - يمكن التعرف على مداخل الأمة العربية .

*

* الاهتمام بالأدب العربى :

فضلاً عن الغرض السياسى الذى ألمحنا إليه ، فإن فى الأدب الشرقى - بعامة - عناصر جذب كثيرة ، تبدو فى مضمون الأساطير والأمثال ، وفى

وسائل التعبير كالشعر والنثر والقصة والمجاز والخيال الكامن فى الاستعارة والتشبيه ، والكناية ، والفوازير ، والأدب الفكاهى .

كما أن الحقد الذى كان وراء طرد العرب من الأندلس جعل سياسة إبعاد كل ما يتصل بالعرب عن الذهن الأوروبى والإسبانى - بخاصة - عملاً استراتيجياً فى الحرب الصليبية التى كانت تضعف أحياناً أمام بعض المستعربين الأحرار ، جعل بعض الإسبان اليوم - وبخاصة الشباب - يدركون أن الانغلاق دون الثقافات العالمية ، ومن بينها ثقافة العرب التى كان لها امتداد فى تاريخهم ، مظهراً للتخلف وتفضيل السجن القومى الفكرى والحضارى على الانفتاح العالمى والتنقل بين أنواع الزهور الحضارية والفكرية العالمية .

ومن الصحف ووسائل الإعلام التى وراءها الصهيونية ، أو المعصوبة بالعنصرية أو الاستعلاء الطبقى والقومى مَن جعلوا أدب « نجيب محفوظ » وكأنه فلتة ليست مرتبطة الجذور بمنبتها العربى والمصرى ، ومَن جعلوا الأدب الأوروبى وحده هو الأدب المتميز - وبخاصة الإنجليزى والفرنسى ، حتى إنك لتجد الكتاب الإسبانى ضعيف الانتشار سواء بالإسبانية أو بلغة يترجم إليها .

وهناك فى إسبانيا شعور جديد بتاريخ وأدب مشتركين بين الفكر العربى والإسبانى ، وقد اكتشف « بدرو مارتينيث مونتانيث » كثيراً من مفاخر الأدب العربى سجلها فى كتابه « مختارات من الأدب العربى » الذى صدر فى عام ١٩٥٨ ، كما فعل ذلك المستعرب « أسين بلاثيوس » الذى اكتشف تأثير أدب ابن العربى ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرى فى الأدب الأوروبى ، وبخاصة فى كوميديا « دانتى » التى تسمى « جحيم دانتى » وكان أثر ابن العربى كبيراً فى الشعر الصوفى الإسبانى والأوروبى .

تقول الدكتورة « كارمن رويث برابو » : إن المهمة الأساسية للمستعربين الإسبان اليوم هى كسر الحواجز الأكاديمية الخالصة ، ومحاولة الخروج إلى المجتمع فى سبيل نشر الثقافة العربية ، وهذا ما بدأنا نلاحظ آثاره فى الفترة الأخيرة ، حيث إن هناك الكثير من البرامج الإذاعية والتلفازية التى تتناول الثقافة العربية ، والتى تساهم فيها وفى حواراتها أعداد كبيرة من الناس ، من خلال الاتصالات الهاتفية ، من أجل السؤال أو التعليق .

*

* التأثيرات العربية فى الأدب الإسبانى :

تقول الدكتورة « برابو » : إن الأدب الإسبانى : سواء منه ما كان مكتوباً باللغة الإسبانية ، أو باللغة القطونية أو غيرها إنما ولد فى مجرى نهر الأدب العربى ، فإن « دون كيشوت » ولدت من أصول عربية ، لأن هذا النوع من الأدب « شبه الروائى » أو القريب من الرواية الحديثة ، له صلة مباشرة بالأدب العربى ، ليس لأن فى هذا العمل شخصيات عربية وحسب ، وإنما بسبب الأسلوب الذى تعتمده من حيث الخلط بين الحلم وبين الواقع ، وهذه ميزة خاصة بالأدب العربى .

ثم الجمع بين الشخصيات المتناقضة والمواقف المتعارضة وهذه من الأساليب العربية الأصيلة وتسمى المقابلة إذا كان التعارض بين جملتين أو فكرتين ، ويسمى طباقاً إذا كان بين لفظين مثل « معزٌ مذلٌ » و « الأبيض والأسود » .

وكان الشعر العربى قد ترك بصماته على الأدب الإسبانى فى القرون السابقة ، إلا أن هذه التأثيرات أصبحت محدودة بعد طرد « الموريسكيين » من إسبانيا ، وبدأت محاولات للفصل ما بين الأدبين ، فى حين أن فصلهما لم يكن ممكناً من قبل ، وذلك لأنهما كانا مجموعين فى إناء واحد ، وهو الأدب الإسبانى العربى .

أما فى وقتنا الحاضر . . فإن المسألة تعقدت وصار الأدب العربى بالنسبة للأدباء الإسبان غريباً وبعيداً .

وبالرغم من صعوبة تحديد التأثيرات العربية فى الأدباء الإسبان المعاصرين ، فإنها موجودة ، شئنا أم أبينا ، لأنهم يعتمدون فى ثقافتهم على مصدرين تراثيين :

أحدهما : الثقافة الشرقية التى تحتل منها الثقافة العربية موقعاً متقدماً .

والآخر : الثقافة الغربية .

*

* تأثير الأدب الإسبانى فى الأدب العربى :

تقول الدكتورة « برابو » : اتخذ الأدباء العرب « لوركا » رمزاً ومثلاً فى كتاباتهم ، وبهذا أثبت الكُتَّاب العرب أنهم أكثر تفتحاً من الإسبان ، وأكثر

عالمية فى نظرتهم إلى الواقع ، ومن هؤلاء العرب بالمغرب محمد شكرى ، ومحمد الزفراق فى مثل عملهم الأدبى « الصياد الإسبانى » ، إذ يتناولون الحديث عنه كأنه جزء من حياتهم ووجودهم .

كما دخلت فى الأدب العربى عناصر كثيرة من أدب « نيرودا » ، أو « أوكتافيوباث » وغيرهما من أعلام الأدب الإسبانى .

وبإختصار : يمكن القول بأن تيارات الأدبين الإسبانى والعربى وأمواجهما قد التقت واختلطت وتأثرت ببعضها .

*

* المشكلات التى تواجه الإسبان فى تعلم العربية :

تقول الدكتورة « كارمن » : من أهم المشكلات جهل الإسبانى كل شىء عن العرب وتاريخهم وجغرافية بلادهم ، فضلاً عن مفردات اللُّغة وحروف الكتابة ، ثم انعزال أقسام التاريخ فى الجامعات الإسبانية عن قسم اللُّغة العربية ، وبخاصة تاريخ العرب الحديث .

ولكن من الجوانب الإيجابية وجود كلمات عربية كثيرة فى اللُّغة الإسبانية وبخاصة أسماء الأشخاص والأماكن والأشياء .

كما قالت الدكتورة « كارمن رويث برابو » : إن الثقافة العربية الحالية هى « المجهول الكبير » فى أوروبا الغربية ، وإن العالم العربى يعيش زمناً مأساوياً طويلاً من التعديل والانتقاص من التغييرات العميقة السريعة ، بيد أن الرسم والموسيقى بدءا يشقان طريقهما إلى آفاق رحبة جديدة فى العالَم العربى ، حيث لا تقتصر الطفرة على ميدان الأدب .

ورداً على سؤال حول « الطابع الرجالى » للمجتمع العربى ، وما يعينيه ذلك بالنسبة للمرأة العربية قالت الدكتورة « كارمن » : « إن المفهوم الرجالى للمجتمع لم يكن يوماً ذا جذور عربية ، بل هو شكل من أشكال مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط التى تعود إلى القرون الوسطى ، بل وإلى ما قبلها -

أى قبل الإسلام - وهى مجتمعات انتقلت من مفهوم التبعية للأمم إلى مفهوم التبعية للأدب ، دون أن يكون لذلك علاقة بالتراث الأدبى » .

وأشارت المستشرقة إلى الحضور « النسائى » البارز فى الميادين الثقافية فى العالم العربى ، وبنسبة تضاهى أى مكان فى القرى والمدن ، ولا سيما فى مجال الأدب .

* *

● **مؤلفات الدكتورة « كارمن » :**

للدكتورة « كارمن » مؤلفات كثيرة حول الأدب والثقافة العربية ، وحول القضية الفلسطينية التى تعتبر هى من أبرز المدافعين عنها فى إسبانيا ، كما أنها ترجمت عدداً من الكتب لكُـتَّاب وكاتبات من مختلف أنحاء الوطن العربى فى السبعينيات والثمانينات .

* *

● **ندوات أخرى :**

قامت جامعة « منسوتا » بعمل برنامج خاص بتدريس أصول الديانات العالمية الكبرى كالبوذية والمسيحية والإسلام ، وكانت الجهود موجهه إلى طُلاب المرحلة الثانوية ، ثم استجيب إلى طلب الكليات الجامعية بعد ثلاث سنوات مع الثانوى ، وأضيف إلى المعلومات الدينية ما يجب أن يعلمه الأمريكان لتحسين العلاقة مع بلدان الشرق الأوسط ، ومحاضرات وندوات تتضمن العوامل التى تسئ إلى العلاقات بين المسلمين والأمريكان .

وواضح فيها أنها ذات هدف سياسى تتفق عليه المؤسسات الكبرى ذات المصالح فى الشرق العربى والإسلامى .

كما تهتم هذه المؤسسات بمعونة الطُلاب الذين يريدون التخصص فى الحضارة الإسلامية وعلاقتها تاريخياً ووصفها بالحضارات العالمية الأخرى ، ومن هذه الجامعات التى فتحت أبوابها لهذه الدراسات : « برستن ، وهارفارد ، وكولومبيا ، وبنسلفانيا ، وميتشجان ، وكاليفورنيا ، وتاكسس ، وأنديانا ، ومنسوتا ، وشيكاغو » .

* * *

فى الشريعة والأدب واللُّغة

خاض المستشرقون فى مجال الشريعة والأدب واللُّغة بما لا مزيد عليه ، فترجموا وألَّفوا وشوَّهوا وفهرسوا . . وأفادوا وأضلوا غيرهم ، وقد نشروا أدب المقامات وأدب القصة ، فاهتموا بمثل « كليلة ودمنة » و« ألف ليلة وليلة » و« مجمع الأمثال » للميدانى .

وفى الشريعة : نشروا فى التصوف والتفسير والحديث والسيرة والفقه السُّنِّى والشيعى مئات المراجع الصغيرة والكبيرة ، وبخاصة ما يساعد على الاضطراب الفكرى بين المسلمين ، وما كانت روايته ضعيفة وكان المسلمون الأوَّلون قد نبهوا على ضعفها أو كذبها فبادت وأراد المستشرقون إحياءها طلباً للفتنة .

وكتب أحدهم فى مقدمة كتاب له عن الشريعة الإسلامية أن الإمام الشافعى كان سبب الجمود فى الفكر الإسلامى ، لأنه هو الذى أرسى قواعد الفقه بكتابته « الرسالة » التى أرست للفقه قواعد تنتصر للحديث ضد مدرسة الرأى ، فجنى على مَن يسميهم المستشرقون : « الفقهاء الأحرار » .

وكما قيل : كان الفقهاء ، والمحدِّثون منهم نياماً فأيقظهم الشافعى برسالته التى أرست قواعد الجمع بين المختلفين من الحديث ، وأن الحديث مجرد بيان للقرآن فلا يعارضه .

وما عارض النص القطعى الدلالة مرفوض . . وكان الشافعى إذا ذكر قولاً للخصم استوفى ذكر دليل الخصم من جميع وجوه الاستدلال المحتملة ثم ناقشه ، كما قال الخضرى فى وصف « الرسالة » ، فالحقيقة أن الشافعى لم يحدث جموداً ، بل أحدث موازين لانضباط الفكر وتوسيعه .

* *

● نقد المستشرقين من المركز والذاتية العربية :

فالمستشرق يجرح النقاد العرب لأنهم ينبعثون من أهوائهم وقومياتهم ، ولهذا فهم يختارون أن يكون الناقد غربياً غير منحاز .

وهم يسقطون فى هذا التوجه مرتين :

الأولى : من حيث أن الناقد العربى أعلم بلغة شعراء العرب وفحوى اللُّغة ومجازاتها فهو أكثر إدراكاً للحقيقة .

الثانية : أنه طبقاً لهذا المبدأ يسقط كبار شعراء الغرب الذين دوَّن الناقد الأوروبى روائع شعرهم مثل « ڤولتير » و« لاڤونتين » ، و« شكسبير » .

المنهج الفيلولوجى : الأصل فيه أنه يلتزم بالدقة والأمانة باعتباره يقوم أساساً على معالجة النص القديم بطريقة تساعد على تقريبه إلى المعاصرين ، فإن هذا المنهج - كما ظهر على يد المستشرقين - لم يكن يسلم من الزلل حين يخرج من الوصف إلى الحكم الذى لا يستند إلى الدراسة المتأنية بقدر ما يستند على هشاشة الأهواء ، وفى هذا الإطار وجوه نستطيع أن نفهم الحكم الاستشراقى الذى ظل يتردد طوال قرنين من الزمان ، والذى يقول : « إن المكانة التى يحتلها المتنبى لا تعود إلى قيمته الأدبية بقدر ما تعود إلى فساد ذوق أُمته » .

وهكذا كانت الخلفية الأيديولوجية الخاصة وراء المستشرقين فى التوجه للدراسة الجزئية التى تساعدهم على الدفع بجوانب معينة فى الدراسة تتناسب مع أهداف المرحلة الاستعمارية الغربية التى يريدها المستشرقون .

ومع الزمن والتقدم الفكرى يظهر مستشرقون لا يعجبهم هذا العدوان الواضح على الشعوب الشرقية ، ولهم مطاعن فى القرآن الكريم وأوهام حوله تناولتُ بعضها بالرد عليه ، يدعون سطحية العبارة والتكرار فى القرآن ، وترابط الآيات والسور ، والأهلة وإتيان البيوت ، والتلقى عن الكتابيين والتشكيك فى أصالة القرآن وفى قصصه [1] .

ومهما يكن من أمر فقد أَثْرت المكتبة الأوروبية بالكتابة عن الإسلام والآداب العربية ، وأتيح للمستشرق من المراجع والمال والفراغ والعون الحكومى والشعبى والأمن والاستقرار ما لم يُتح لغيرهم من المسلمين . . ولولا أنهم

---

(١) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص ٥٧ - ٧٢ ، وفصل « شبهات كارليل » ص ١٣٢ - ١٤٤

وراءهم الفكر الصليبى أو اليهودى المتعصب لحمدت الثقافة الإنسانية نشاطهم ، ولأناروا دياجير الحياة بدلاً من ملئهم إياها دخاناً محرقاً ، وقد أثمرت هذه الحركة الاستشراقية ثمرتها المرجوة للمستشرقين ، وحققت أغراضها التى استهدفوها إلى أقصى ما أمكن على مستوى القارة الأوروبية بل والأمريكية وفى كل المجالات ، بل كان ما نقله المستشرقون عن العرب المحور الذى تحرَّكت حوله الأفكار التى نشأت عنها حركة النهضة فى أوروبا منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

* * *

فى دائرة المعارف الإسلامية

صدرت الدائرة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية وأهم كُتَّابها المسئولين عنها :

* هوتسما ، فنسنك ، هفنتك ، كب ، ليفى بروفنسال ، شاده ، باسيه ، هارتمان ، أرنولد ، باور لويس ، بلا ، هـ . ن . جب .

وقد ترجم هذه الدائرة إلى العربية الأساتذة : إبراهيم زكى خورشيد ، أحمد الشنتناوى ، عبد الحميد يونس .

ومن المحررين فيها أيضاً :

* ف . بابنجر ، أ . أ . ايزنبرج ، و . ايفانو ، ج . بارت ، ر . باريت ، هـ . هـ . برى ، ر . باست ، س . س . برج ، ج . ل . دلافيدا ، دى بور ، دى تريش ، هـ . ر . بركندروف ، ك . ف . زيترستين ، هـ . سبير ، م . سترك ، م . سميث ، سنوك هوج روچيه .

* دكتور شترتمان (من أصل ألمانى) ، ج . شليفر .

* ب . شريك ، س . فان أريندونك .

* هـ . فوخس ، ف . فوكا ، كارل بروكلمان .

* أ . فيشر (وهو ألمانى الأصل) ، ر . أ . كرن .

* أ . كور ، ج . هـ . كريمرز (هولندى الجنسية كثير الطعن للإسلام) .

* لونجورث دايمز ، ت . لويش ، ج . مارسايز .

* ف . مينورسكى (كان أستاذاً بجامعة كبردج) ، ت . منتزل .

* هونجمان ، أ . ج . هويسمان ، هـ . س . نيبرج .

* و . هارنتر ، هورفيش (ألمانى) ، ب . هلر .

* و . هبفنتج ، هيوارت (وهو مشهور بتخبطه فى عرض الإسلام) .

* ج . ووكر (وهو صاحب ملامح من التوراة فى القرآن) .

* جولدزيهر ، ب . ويتك ، ت . هـ . دير .

* هنرى لامانس اليسوعى ، يوسف شاخت .

ومن محررى مجلة العالم الإسلامى من المبشرين بالنصرانية والمستشرقين :

* أدوين كالفلرى (وهو أمريكى متعصب ، وهو رئيس تحرير المجلة ، كما أنه من محررى دائرة المعارف الإسلامية ، وممن باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات ، واتجاهاته التنصيرية سافرة) .

* أ . أ . الدرس (وهو قسيس ، ومحرر فى مجلة العالم الإسلامى التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا) .

* ألفرد كارلتون (وهو مدير كلية حلب ، كما عمل نائب رئيس جمعية البعثات الأمريكية التنصيرية فى الخارج) .

* * *

نماذج من أمريكا للكتّاب

* **جروف هينز** : صاحب كتاب « إفريقيا اليوم » ، وقد طبع بمطبعة « جونز هوبكنز » بمدينة « بولتيمور » بالولايات المتحدة الأمريكية ، ويشتمل على ستة أبواب أو مقالات ، تتناول الكلام على القارة الإفريقية من النواحى السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية .

ومما يسترعى النظر هذا الفصل الذى كتبه « جورج كارپنتر » عن الدور الذى تقوم به المسيحية والإسلام فى إفريقيا المعاصرة ، والفصل الذى كتبه سير « ڤيليب ميتشيل » الذى شغل منصب حاكم كينيا عن إفريقيا والغرب ، والفصل الذى كتبه « لورينزو تيرنر » عن علاقة التربية العربية بأساليب الحياة فى إفريقيا . والفصل الذى كتبه « كوفى بوسيا » عن ساحل الذهب ونيجيريا فى طريق نيل الحكم الذاتى ، و« وليام مورجان الصغير » عن معونة الولايات المتحدة الأمريكية الفنية والاقتصادية إلى إفريقيا ، و« پول نيتزه » عن الولايات المتحدة وإفريقيا من وجهتى النظر الأمريكية والإفريقية [١] .

* **چوستاف فون جرونيباوم** - الأستاذ بجامعة شيكاغو : كتاب « الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية » ، وطبع بمطبعة جامعة شيكاغو ، ويشتمل هذا الكتاب على مقالات تعالج الإسلام باعتباره ديناً وحضارة ، وتبحث التراث الثقافى وحالة البلاد الإسلامية ، وعلاقة العرب بالحضارة الإسلامية ، وتأثير الشريعة الإسلامية فى شمال إفريقيا وإفريقيا الاستوائية ، وعن المؤثرات الإسلامية فى شرقى إفريقيا وغربيها [٢] .

* **موريس دى لافوس** : المرابطون فى السنغال (طبع باريس ١٩١٦) ، ومثله كثيرون أثْروا البحوث فى كل شئون إفريقيا .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : أنتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى - المقدمة (ر - ك) - طبعة ١٩٥٧

(٢) المرجع السابق - المقدمة : ص (ك) .

* **هنرى فورنيل** : فتح العرب لإفريقيا (طبع باريس ١٨٧٥) .

* **فيدج** : تاريخ غرب إفريقيا (كمبردج ١٩٥٥) .

* **سير آلان بيرنز** : تاريخ نيجيريا (لندن ١٩٥٥) وقد شغل منصب حاكم عام هذه البلاد سنوات عديدة .

* **ميك** : قبائل نيجيريا الشمالية (لندن ١٩٢٥) .

* **سبنسر ترمنجهام** : الإسلام فى السودان (طبع لندن ١٩٤٩) ، الإسلام فى الحبشة (لندن ١٩٥٢) .

* **ثيوبولد** : المهدية (لندن ١٩٠٥) .

* **ريتشارد بيرتون** : المواطن الأولى فى شرق إفريقيا (لندن ١٨٥٦) .

* **جوردون براون** : دليل شرقى إفريقيا (لندن ١٩٥٥) .

* **بدج** : تاريخ أثيوبيا (لندن ١٩٣٨) .

* **صمويل وسر** : رئيس جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية ورئيس تحرير مجلتها .

* **س . موريسون** : له كتاب « التوتر السياسى والاجتماعى والدينى فى الشرق الأوسط » (صدر عام ١٩٥٤) .

* **مارجريت رونالد** : مستشرقة أمريكية معاصرة .

* **دكتور جون بادو** : عمل سفيراً لأمريكا فى القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ومن قبل كان مديراً للجامعة الأمريكية بالقاهرة .

* **ك . يانج** : أمريكى مارس التنصير فى إيران ثم عمل مستشاراً لوزارة الخارجية ، ومديراً لقسم الدراسات الشرقية بجامعة « برنستون » بالولايات المتحدة الأمريكية .

* **جورج زنتز** : (١٩١٢) وظف بالسفارة الأمريكية بمصر حيث تزوج ثم انتدب فى مهمة سياسية بالجزيرة العربية .

* *

● **جمعيات أمريكية** :

يوجد فى الولايات المتحدة الأمريكية كثير من الجمعيات العربية الأمريكية ومئات من الجمعيات الإسلامية .

ومن الجمعيات العربية الأمريكية :

* جمعية العرب الأمريكيين : تأسست فى تكساس ، ورئيسها (عام ١٨٩٠) د . عزت أبو العينين ، رئيس قسم التوليد بجامعة « هيوستن » بولاية « تكساس » .

* المؤسسة التعليمية العربية الأمريكية فى « تكساس » : وقد تبنت إنشاء كرسى دائم بجامعة « رايس » ، التى تعتبر سابع جامعة فى مركزها العلمى بين مئات الجامعات الأمريكية .

وقد خصص هذا الكرسى للدراسات العلمية الجادة فى مجالات اللُّغة العربية وتاريخ وحضارة العرب وعلاقتهم بدول العالم ، والسياسات الأمريكية تجاه المنطقة العربية .

ولوحظ أن كُتَّاب دائرة المعارف وغيرهم بذلوا جهوداً جبارة ، ولكن كتاباتهم لم تسلم من الغمز واللَّمز والغرض المشبوه .

* * *

المؤتمرات

وقد عقد المستشرقون عدة مؤتمرات من أجل هذه البحوث العلمية الموجهة وجهة تخدم الغرض العلمى الذى ينفع الغربيين والغرض التبشيرى والسياسى الذى ينفع الكنيسة والسياسيين معاً ، كان أول مؤتمراتهم هو الذى عقد فى باريس سنة ١٨٧٣ ، وتكررت بعد ذلك المؤتمرات حتى بلغت الستة والعشرين فى عام ١٩٦٤ ، واشتركت مصر فى بعضها ، وكان ممن اشتركوا فيها من مصر : « عبد الله فكرى ، وحمزة فتح الله ، وحفنى ناصف » رحمهم الله [١] ، وفى مؤتمر « أكسفورد » بلغ عدد المندوبين (٩٠٠) نابوا عن ٢٥ دولة و(٨٥ جامعة) و(٦٩ جمعية علمية) .

ولنعطيك صورة عن طبيعة هذه المؤتمرات ودراستها نقدم لك نقلاً عن الأستاذ العقيقى صورة من جدول أعمال المؤتمر الخامس عشر المنعقد فى برلين سنة ١٩٠٨ ، وكان مخصصاً للشئون التاريخية .

١ - التاريخ البابلى : لفرنتز كومون البلجيكى .

٢ - آثار مصر التاريخية : لجاستون ماسبرو الفرنسى .

٣ - تاريخ مصر القديم واكتشاف البردى : لجرنفل الإنجليزى .

٤ - المدافن الملكية من السلالة الرابعة عشر : لرينير الأمريكى .

٥ - المدافن الملكية من السلالة الخامسة : لبورفوت .

٦ - اكتشاف الكرنك : للوجرين جوينكل .

٧ - أميرات مصر وملكاتها القديمات : لماهافى الإيرلندى .

٨ - ما بين الكتب المقدسة والآثار المصرية : لجوينكل .

---

(١) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث : ٣١٣/١ ، طبعة أولى ، ونجيب العقيقى : المستشرقون ، الفصل الثالث ، طبعة ثانية ص ٢٥ - ٢٧ ، وص ١١٤٨ طبعة ثالثة .

٩ - فضل الكنيسة فى إبطال الرق فى القرون الوسطى : لبيير الهولندى .

وواضح من هذا البحث إرادة تعميق احترام الكتب المقدسة والتراث الوثنى الفرعونى . وهذا ينشأ عنه بالتالى - على المدى البعيد - خلخلة العقيدة الإسلامية المناهضة للوثنية الفرعونية والمسيحية واليهودية فى نفس الوقت ، وإيجاد أرض للتفاهم مع الوثنيين وغير المسلمين عامة على قاعدة الاحترام والإجلال لهم ولمقدساتهم ، وبالرغم من أن احترام أى شىء يمت إلى الوثنية بصلة مدخل للشرك .

١٠ - مشروعات اليهود الدينية : لوليم دافيس الإنجليزى .

١١ - حفريات أريحا والآثار الكنعانية : لسلن النمساوى .

وواضح فى هذين البحثين روح الشر الصهيونى وقد ألحق بالجدول أيضاً تاريخ بنى إسرائيل : لستانلى كوك من أساتذة « كمبردج » المتخصصين فى حفريات فلسطين .

١٢ - النظام الكنائسى فى آسيا فى القرن الرابع عشر .

١٣ - رسوم الملك جوستنيان : لريكوبونو الإيطالى .

١٤ - تاريخ الشرق والإسلام : للبرنس كايتانى الإيطالى .

١٥ - اقتصاد العرب المالى فى بدء الفتح المصرى : لبيكر الألمانى .

وبالإضافة إلى جدول الأعمال طرحت الموضوعات الآتية :

١٦ - هيكل جزيرة أسوان وآثارها المكتشفة حديثاً .

١٧ - بحث للأب اليسوعى الألمانى « ف . كوجلر » ، ودكتور « باربر مندس » الأمريكى عن العلوم الفلكية والرياضية عند الأشوريين .

١٨ - مقامات ابن ناقية : لبتار الفرنسى .

١٩ - مكاتبات السلطان بايزيد والأحبار الرومانيين .

٢٠ - أقدم مسجد فى القسطنطينية .

٢١ - مقابر المسلمين فى بغداد : لماسينيون .

❁ ❁

● مؤتمر المستشرقين الألمان :

فى كل أربع سنوات يُعقد مؤتمر للمستشرقين الألمان ، وكان المؤتمر الحادى والعشرين لهم فى أوائل إبريل سنة ١٩٨٠ بمدينة برلين ، وتطرح فى ساحته عشرات الموضوعات المرتبطة بالدراسات الشرقية أو الاستشراقية القديمة والحديثة على ساحة الشرق كله من أندونيسيا والهند شرقاً إلى المغرب العربى .

وفى هذه الحلقات الأربع عشرة التى نظمها المؤتمر طيلة سبعة أيام كانت حلقة للدراسات الإسلامية وحلقة للغات السامية .

ومن مباحث الحلقة الإسلامية بحث عن منهج ابن عساكر فى التأليف ، وبحث عن أكاديمية الإمام أبى حنيفة للفقه الإسلامى ، وآخر عن تاريخ بخارى عند ابن حبيب ، وآخر عن منهج الدراسات الحديثة فى البحوث الإسلامية ، وغير ذلك أبحاث أخرى مثيرة مثل بناء الكعبة كما أرادها الرسول ، وجغرافية القدس أثناء العصر المملوكى ، وغزو الكعبة ، والمتصوفة والفقهاء ، والتصوف والسياسة ، والمؤسسات الدينية فى المغرب العربى .

وفى حلقة الدراسات السامية ألقيت أبحاث مثل الأطلس اللُّغوى لمصر ، اللُّغة المالطية وصلتها بالعربية ، رموز الألوان فى لهجات السودان ، تاريخ الكلمات فى حضرموت فى سياقها التاريخى .

وكان من أبرز المستشرقين الحاضرين « فالتر براون » ، و« هانز ريمر » ، و« فرانز روزنتال » ، و« ولف فيشر » ، و« فرديريك شيللر » ، و« فريتز شتيبات » الذى قدم بحثاً عن « التيارات السياسية المعاصرة فى الدول الإسلامية » ، وألقاه فى القاعة الكبرى لمكتبة برلين الحكومية بصوت جهورى ثابت :

« أيها المستمعون ؛ ينبغى لنا أن نفرق بين المسلمين المعاصرين وبين الإسلام ، فالإسلام دين عظيم يدعو إلى العزة والحرية والعدالة ، والعلم والرقى ، ولكن الساسة المسلمين المعاصرين لم يلتزموا بروح الإسلام ، فكان من أمرهم هذا الذى تشهدون » .

* *

● مؤتمر الأدب المقارن :

وفى أغسطس سنة ١٩٨٥ عقدت الرابطة العالمية للأدب المقارن مؤتمرها الدولى الحادى عشر ، فى الفترة من (٢٠ إلى ٢٥ أغسطس) حضره حوالى (٦٥٠) باحثاً من أنحاء العالم .

* *

● الأدب والفن :

كما عقد مؤتمر الأدب والفن فى بريطانيا ما بين (٢٦ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥) ، وكان للأدب العربى دوره فى الحوار ، وقد عرض فيه الدكتور « حسام الخطيب » بحثاً عن « تأثير السياسة على نشأة القصة السورية القصيرة » .

* *

● الجمعيات الآسيوية :

تأسست هذه الجمعيات واهتمت بنشر التراث العربى والإسلامى جميعه كيما يتربى فى الأُوروبيين ملكة العرب فى التفكير والخيال ، ويتدربوا على منهجهم العلمى فى شتَّى البحوث .

وكانت أقدم جمعية من هذا النوع هى التى أُنشئت فى « بتافيا » عاصمة جاوى بالهند عام ١٧٨١ ، ثم الجمعية الآسيوية البنغالية التى أسسها السير « وليم جونسى » فى كلكتا عام ١٧٨٤ ، وكان أعضاؤها جميعاً من الإنجليز .

وقد نشرت هذه الجمعية أبحاثها فى عشرين مجلداً فيما بين عامى (١٧٨٨ - ١٨٣٦) عدا ما نشرته من بحوث فى مجلة الجمعية الآسيوية للبنغال التى ظهر أول أعدادها عام ١٨٣٢ ، ولا تزال تصدر حتى اليوم .

كما أُسست الجمعية الفرنسية عام ١٧٨٧ لنشر المخطوطات الشرقية مثل مروج الذهب للمسعودى ، ورحلة ابن بطوطة ، وجغرافية الإدريسى ، وتفسير القاضى البيضاوى ، وسيرة ابن هشام .

وأُسست الجمعية الآسيوية الفرنسية عام ١٨٢٠ وأصدرت المجلة الآسيوية التى اهتمت بدراسة الفرق الشاذة لتشويه طبيعة الفكر الإسلامى لدى الغرب ، إلى جانب ما نشرته من علوم العرب الفلسفية والطبيعية والأدبية والجغرافية .

كما أُسست الجمعية الآسيوية الملكية بلندن سنة ١٨٢٣ فنشرت مقامات الحريرى ، وترجمان الأشواق لابن عربى [١] .

ثم ظهرت الجمعية الآسيوية فى بومباى وأصدرت لها مجلة ربع سنوية أخذت تنشر منذ عام ١٨٣٤ عدة بحوث وترجمات لمؤلفات أدبية وصوفية وتاريخية لم يرض عنها جمهور علماء المسلمين ، وإنما أراد المستشرقون بنشرها أن يُثيروا اضطرابات فكرية كانت قد خمدت وذلك مثل « مشكاة الأنوار » لأبى حامد الغزالى الذى ترجمه « جيروز » ، ثم سعى إلى نشره بالعربية أحد تلاميذ المستشرقين .

وفى عام ١٨٤٢ حذت أمريكا وألمانيا حذو إنجلترا وفرنسا فأنشأتا جمعتين ومجلتين آسيويتين ، كما ظهرت مجلة فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا ، ففى عام ١٨٤٠ تأسست بأمريكا الجمعية الأمريكية الشرقية .

* * *

(١) فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى : ١/٣١٣ - الطبعة الأولى .

الاستشراق بين العلم والإيديولوچيا

● مفهوم الإيديولوچيا :

قال الأستاذ « حسن الأمرانى » [١] : ظهرت كلمة« إيديولوچيا »أول مرة عام ١٧٩٦ فى فرنسا على يد الفيلسوف الفرنسى « دو تراسى » (١٧٥٤ - ١٨٣٦) عضو الأكاديمية الفرنسية ، وفى عام ١٨٠١ أصدر كتابه « الإيديولوچيا » .

ومعناها الفريب هو علم الأفكار أو فن البحث فى الأفكار والتصورات .

وعند « ماركس » و« إنجلز » : عدم الوعى الواضح بالدوافع الكامنة وراء الأفكار التى يطرحها ، ثم عدم الوعى بطبيعة الأفكار من حيث هى أفكار تحددها شروط متصلة بالوضعية المادية السائدة فى مجتمع الإنسان الذى يفكر ، كما أنها - عندهما - ترسم صورة ناقصة ومشوهة للعلاقات الواقعية السائدة فى المجتمع : « إن الإيديولوچيين يخلقون ضلالات نوعية فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويضفون عليها طابع المثالية والخلود ، ثم يعتنقون هذه الضلالات عن صدق وبنية طيبة .. فهى نوع من الوعى الذى يتحول إلى أغلوطة » .

ولم يختلف « لينين » عن ذلك كثيراً ، فقد جعل الإيديولوچيا مرادفة للنظرية أو المذهب ، وفرَّق بين الإيديولوچيا العلمية وغيرها فقال : « إن كل إيديولوچيا تخضع لشروط من الوجهة التاريخية ، بَيْد أن كل إيديولوچيا علمية (خلافاً للإيديولوچيا الدينية) تقابل فى جميع الأقوال الحقيقة الموضوعية والطبيعة المطلقة » [٢] .

وقال الباحث الماركسى « ماركوفيتش » : إنه باسم الإيديولوچيا الماركسية نفرض على الكتاب ألا يرسموا سوى الجوانب المضيئة من الحياة السوفييتية ،

---

(١) الإنسان : العدد الأول ، مارس ١٩٩٠ (٢) العلم والإيديولوچيا ص ٣٠

وأن يشيدوا بالأبطال الإيجابيين والبناة ، ونطالب الموسيقيين بالتخلى عن لغة الموسيقى الحديثة ، والعودة إلى تشايكوفسكى .

وبهذا لا يمكن للعلم أو الفن أن يزدهرا إذا كان عليهما أن يخضعا للسياسة اليومية من الناحية المبدئية [١] .

والحاكم المستبد يحتاج إلى إيديولوچيا تبرر الواقع الذى يسير فيه حياة المجتمع ، ويكره العلم الذى له قواعد ثابتة .

* *

● الإطلاق الحديث للإيديولوچيا :

تطلق اليوم كلمة « الإيديولوچيا » على القواعد والأصول المختمرة لدى فرد أو جماعة أو أُمة تحقق لها رغباتها فى الحاضر وطموحاتها المستقبلية سواء ارتكزت على فكر دينى أو غيره ، والإسلام فى ذاته إيديولوچيا للمسلمين بما فيه من أصول وترغيب وترهيب .

* *

● المستشرقون والإيديولوچيا :

قال « ج . لكلرك » : ليست الإيديولوچيا أكثر من تبشير بالنصرانية يدّعى العلم والأخلاق .

وقال الأستاذ « حسن الأمرانى » : وإذا كانت الإيديولوچيا تختلف عن العلم فى أنها تتجاوز دراسة ما هو كائن إلى التبشير بما ينبغى أن يكون ، استناداً إلى أسلوب دعائى حيناً مباشرة ، وحيناً آخر بإيحاء يتقنّع بقناع العلم ، فإننا نستطيع أن نحدد - بوضوح - المعنى الإيديولوچى فى التركيز عند دراسة شاعر كالمتنبى على جوانب معينة ، والدفع بها وجهة تتناسب مع أهداف

---

(١) العلم والإيديولوچيا ص ٤٠

المرحلة الاستعمارية الغربية ، إذ لم تكن دراسة موضوعية لظاهرة تاريخية تجسدت فى شاعر عربى ، بقدر ما كانت تهدف إلى تفسير الحضارة الإسلامية برمتها تفسيراً عرقياً ، يصور النزعة التسلطية للجنس العربى - قديماً وحديثاً - تحت ستار روحى ثقافى ، وهو تفسير يسعى إلى تعضيد العناصر المفرِّقة لكيان موحد ، وذلك عن طريق إضفاء الطابع البطولى على نزوع الحرية ، الذى تجلى عند أعراق تأبت على الذوبان والخضوع للتسلط العربى ، كالبربر فى المغرب ، والأكراد والقوقازيين فى المشرق .

وإذا كان من طبيعة المنهج الفيلولوچى الالتزام بالدقة والأمانة ، باعتباره يقوم أساساً على معالجة النص القديم بطريقة تساعد على تقريبه إلى المعاصرين ، فإن هذا المنهج - كما ظهر على يد المستشرقين - لم يكن يسلم من الزلل حين يخرج من الوصف إلى الحكم الذى لا يستند إلى الدراسة المتأنية ، بقدر ما يستند على هشاشة الأهواء ، وفى هذا الإطار وحده نستطيع أن نفهم الحكم الاستشراقى الذى ظل يتردد طوال قرنين من الزمان ، والذى يقول : إن المكانة التى يحتلها المتنبى لا تعود إلى قيمته الأدبية بقدر ما تعود إلى فساد ذوق أُمته .

وقد تجاهل المستشرقون حقيقة أن المتنبى لم يبلغ إلى ما بلغ إليه إلا بفضل المنافسة ونضج النقد الأدبى فى ذلك الوقت ، وتجاهلوا كم من الحِكَم الفلسفية والاجتماعية صاغها فى إطار موسيقى الشعر من النادر وجود مثلها فى الغرب .

* * *

● **التوبة الاستشراقية المحدودة :**

لقد استشعر كثير من المستشرقين عند منتصف القرن العشرين الإسراف فى مغالطات السابقين ، فبدأوا يتجنبون ذلك ليبدو أنهم منصفون حتى يُسمع لهم ، ولكن بقيت فيهم آفة هى أنهم يتصورون أن مقاييسهم النقدية هى الوحيدة فى فهم النصوص وفى الحكم على صحتها أو على جمال الأُسلوب ، وتجاهلوا اختلاف البيئات التى نبت فيها الشاعر أو الكاتب ، بيئة مدنية أو ثقافية أو دينية .

ولقد يتهم المستشرقون العرب بالتعصب لبنى جنسهم ، ولا يريدون أن

يقولوا إنهم أعلم ببواطن الأُمور لأنهم أهل البيئة ، وأقرب إلى أصحاب الإنتاج الفكرى والأدبى ، بينما من الممكن أن يرمى شعراؤهم ومفكروهم بنفس ما انتقصوا به شعراءنا ومفكرينا .

لقد عمدوا إلى الشخصيات القلقة كالحلاج يبرزونها فى صور غير صادقة ليخدموا أغراض الكنيسة خاصة ، وعمدوا إلى تغريب الشرقيين بما بثوه من أفكار ، وبما شجعوا عليه من عادات ، وحمل لواؤهم أمثال طه حسين ، ومحمد أركون . . وما أكثر هؤلاء فى المسلمين تلاميذ المستشرقين فى الغرب ممن يحملون لواء العمل الإسلامى هناك .

قد اقترح علاج ذلك بالحوار الحضارى الذى يستوجب استكمال البناء الحضارى الإسلامى على بصيرة ، فما لم يرتفع مستوانا سيظل المستشرقون ينظرون إلينا من أعلى ونظل نحن تستشعر الصغار والنقص عند حوارنا معهم .

* *

● الدراسات الخاصة والترجمة :

يرجع الاهتمام بالعلوم العربية ودراستها إلى القرن العاشر الميلادى حيث اهتم ملوك أُوروبا بالآداب والعلوم الإسلامية كافة ، وكما كان المأمون من خلفاء العصر العباسى يبذل بسخاء لترجمة الكتب الأجنبية ، فعل « ألفونس » ملك قشتالة لترجمة كتب العرب ، وهكذا كان قبله « فردريك الثانى » ملك صقلية عام ١٢٥٠ م ، وقد بلغ ما تُرْجِم من العربية فى القرون الوسطى أكثر من (٣٠٠ كتاب) منها (٩٠) فى الفلسفة والطبيعيات ، (٧٠) فى الرياضيات والنجوم ، و(٩٠) فى الطب ، و(٤٠) فى الفلك والكيمياء ، وظلت هذه هى زاد أوروبا التى أخذت تثريه وتفيد منه شيئاً فشيئاً حتى كانت نهضتها المادية الكبرى التى هددت كياننا بعد ذلك .

وإلى جانب جهود الملوك كان جهود كبار القساوسة والعلماء وإليك بعض الأمثلة :

١ - جيرار دى كريمون (١١١٤ - ١١٨٧ م) :

تضلع فى العربية ونقل منها إلى اللاتينية فلسفة الكندى والفارابى وابن سينا ، كما نقل للرازى بعض مؤلفاته ، ونقل عن العربية كذلك كتاب الأحجار لأرسطو وجالينوس وكتاب « إقليدس » فى علم الفلك ، وترجم كتاب علم النجوم لجابر بن أفلح ، وكتاب الأدوية ليحيى بن سرابى ، ويقال : إنه ترجم سبعين كتاباً فى جميع فنون العلم وضروب الآداب كانت فقدت أصولها العربية ولم يسلم إلا ترجمتها اللاتينية ، وهو إيطالى من الرهبان البندكتية ، وقد توفى بطليطة حيث كان يعمل مترجماً بمدرسة طليطلة كتب العرب إلى اللاتينية [١] .

٢ - ميكائيل سكت (١١٧٥ - ١٢٣٥م) :

وهو اسكتلندى المولد بندكتى الرهبنة ، وقد حاز لقب الرياضى من جامعة باريس ، ثم انتقل إلى بلرمة وطليطلة مهدَىْ الثقافة العربية ، ومن دراساته « خلاصة الفلسفة لابن سينا » انتهى من وضعه سنة ١٢١٠ م ، وكان « سكت » معاصراً لابن رشد المتوفي سنة ١١٩٨ م ، وقد ترجم شروح ابن رشد التى كتبها تعقيباً ونقداً لأرسطو عن السماء والأرض والنفس ، كما نشر « الأسرار الطبيعية » وكتاب « المسألة الدقيقة عن طبيعة الشمس والقمر فى علم السيمياء » ، وكتاب « الحيوان » لأرسطو ، وهى مؤلفات استقاها من كتب العرب .

٣ - باكون (١٢١٤ - ١٢٩٤ م) :

هو راهب إنجليزى المولد ، أولع بالنجوم والكيمياء حتى أتقنهما فى مدارس باريس العربية ، ثم أكب - فى دير الفرنسيسكان - على درس مؤلفات

---

(١) المستشرقون لنجيب العقيقى ص ١٢٦ الطبعة الثالثة .

والبندكتية : نسبة إلى القديس « بنديكتوس » ، أسس رهبانيتهم فى جبل كاسينو عام ٥٢٩ م ومن طائفتهم المستشرق « الأب جاتن » ، و« توما الأكوينى » .

ابن الهيثم فإذا نتيجة درسه اختراع المجهر « الميكروسكوب » ويقرر « باكون » أن الكندى و« بطليموس » فى الصف الأول من الفكر الفلسفى .

وقد نقل عن العربية - فى علم الكيمياء - كتاب « مرآة الكيمياء » .

٤ - روبرت أوف تشستر الصقلى (فى القرن الثانى عشر الميلادى) :

هو من أهالى كينون فى « روثلاند » . عاش فى إسبانيا حقبة طويلة تعلم فيها العربية ، وقد لقى « بطرس المحترم » سنة ١١٤١م فحرضه بطرس على ترك علم النجوم والاضطلاع بترجمة القرآن إلى اللاتينية ، فتم ذلك فى عام ١١٤٣ م ، ثم ترجم « تشستر » كتاب الخوارزمى فى علم الجبر عام ١١٤٤ م وكانت ترجمته فاتحة علم الجبر فى أوروبا ، كما ترجم كتاباً فى « الكيمياء القديمة » وهو أول كتاب كيمائى تداولته أوروبا الغربية ، ثم ألّف عدة رسائل ونقح كتاب « الخوارزمى » سنة ١١٥٠ م لينطبق على خط الزوال فى لندن وهو بهذا يحاول تغريب العلوم وقوانينها الشرقية ، دخل الرهبانية البندكتية ، وعين أسقفاً على بامبلونة . ثم اختير مستشاراً لصقلية [١] .

٥ - ادلارد أوف باث (١١٢٥م) :

نسب إلى مدينة « باث » مسقط رأسه ، ثم رحل إلى إسبانيا وسوريا فى فجر حياته لدراسة الثقافة العربية ، قد ترجم إلى اللاتينية كثيراً من الكتب العربية أفاد منها معاصروه ، وعدد كبير منها فى علمى الفلك والرياضة ، وبهذه العلوم العربية حاز مركزاً ممتازاً أهّله ليكون مربياً للأمير « هنرى » الذى أصبح فيما بعد الملك « هنرى الثانى » ملك إنجلترا .

٦ - دوزى (١٨٢٠ - ١٨٨٣ م) :

ولد فى « ليدن » من أصل فرنسى ، وهو من عائلة اشتهرت بالاستشراق ، ترجم مقدمة ابن خلدون ، كما نشر تاريخ بنى زياد ملوك تلمسان بعد أن ترجمه

---

(١) المستشرقون ص ١٢٣ - الطبعة الثالثة .

وعلق حواشيه ، وعلق على كتاب المقرى الذى نشره « فايشر » ، ونشر الجزء الثالث من الذخيرة لابن بسّام ، والمعجب فى تاريخ المهدى لعبد الواحد المراكشى ، والبيان والمغرب لابن عذارى ، عدا مؤلفات عديدة ضخمة مثل « تاريخ الإسلام فى إسبانيا (أربعة أجزاء) ، وكذا كتاب العرب فى دولة العباديين (فى ثلاثة أجزاء) وملحق ، وتكملة المعاجم العربية (فى جزءين) .

ومن بحوثه كذلك كتاب الأمراء ، وكتاب أصل الكلمات العربية ، والكلمات الدخيلة عليها ، وكتاب أصل الكلمات العربية فى اللغتين الإسبانية والبرتغالية ، ودرسٌ فى ثمانين صفحة عن مقدمة ابن خلدون نشرته المجلة الآسيوية سنة ١٨٦٩ ، وكتاب عن أريب وأديب ابنى سعيد الإسرائيليين فى مكة .

٧ - المستشرق الدكتور « ديفيد كينج » :

هو أستاذ تاريخ العلوم فى جامعة « فرانكفورت » ، ومدير معهد تاريخ العلوم فى نفس الجامعة ، وأستاذ اللغات الشرقية فى جامعة « نيويورك » ، ومتخصص فى تاريخ الفلك والرياضيات فى العالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، اشتغل بالمخطوطات العربية ، وإنما كان اهتمامه بتاريخ استخدام الفلك للاحتياجات الدينية عند المسلمين ، وهو أستاذ معاصر ، وله فهرس يضم (٢٥٠٠) مخطوط عربى علمى ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية ، وتاريخ علم الميقات فى الإسلام ، وتاريخ علم الفلك فى مصر وسوريا واليمن . هذا عدا مقالات عديدة عن تحديد مواقيت الصلوات وتحديد القِبْلة .

وقد زار الكويت وألقى بها محاضرة ، تطرق فيها إلى وصف الآلات الفلكية الإسلامية المحفوظة فى دار الآثار الإسلامية بالكويت ، وركز فى شرحه على الاسطرلاب المصنوع فى أوائل القرن الرابع الهجرى الموافق للقرن العاشر الميلادى ، والذى وصفه « محمد بن عبد الله » المعروف باسم « نسطولس » ، كما تناول شرح آلات أخرى واستعمالها مثل « دائرة المعدل » .

* *

● مستشرقون معاصرون بالقاهرة :

أقيمت ندوة لمدة أربعة أيام باسم ندوة نجيب محفوظ فى معرض الكتاب الدولى بالقاهرة فى (آخر يناير وأوائل فبراير ١٩٨٩) وشهدها من المستشرقين « روجر إلن » ، و« تريفور بوجاسيك » ، و« إميل چيى » .

* ومن المعاصرين كذلك : « **ستيفن روتسمان** » صاحب « تاريخ الحروب الصليبية » .

* « **ر . ليفى** » صدر له فى عام ١٩٣٣ كتاب مقدمة لدراسة علم الاجتماع الإسلامى كما كتب الهيكل الاجتماعى للإسلام فى عدة أجزاء ظهرت فى عام ١٩٥٧ .

* « **آرثر جيفرى** » : متعصب سافر ضد الإسلام ، وله : الكلمات الدخيلة فى القرآن ، ومصادر تاريخ القرآن ، والقرآن كتاب دينى .

* « **لويس أراجون الفرنسى** » : كان شاعراً مجيداً ، وعندما ماتت زوجته « إلزا » سنة ١٩٧٠ شعر وكأن الوجود عين مفقودة ، وقد عاش بعدها اثنتى عشرة سنة وهو يترقب يوم الرحيل عن هذه الحياة ، وقد واتاه فى فجر يوم الجمعة من نهاية عام ١٩٨٢ ، وكان شاعراً رومانسياً عاطفياً . أطلق عليه بعد وفاة زوجته « مجنون إلزا » فقد كان هذا المستوى من الحب شرقياً لا يتصور الغرب أن يكون فى ديارهم يوماً ، وبخاصة فى باريس .

وفى الحق إنه كان فى حبه وشعره وعواطفه متأثراً بالشرق ، وتأثره بالشرق ثابت من خلال جولاته التى قام بها إلى هذا العالم المختلف عن طبيعة الغرب ، وهو شاعر ناقد ، وقد قام بدراسة مقارنة ، قارن فيها بين مجموعة شعراء « الطوربادور » فى فرنسا أثناء القرون الوسطى ، وبين الشعراء العرب ، وقال : « لقد شدنى إلى شعراء العرب ما وجدته من قرابة روحية ، وشَبَهٍ فى المحتوى » .

لقد ظل فترة من عمره يتخبط فى شعارات ظن أنه بمناصرتها يخوض قضايا المعدمين والفقراء والموجوعين ، ثم ما لبث أن اكتشف عدمية تلك الشعارات وسقوطها ، فقال عبارته التى جعلها عنواناً لأحد كتبه : « لا بد أن نعرف الأشياء بمسمَّياتها » وبدأ يتجه إلى الفكر الفلسفى عن الوجود وعن الشرق ولم يتخل عن نُصرة الدعوة إلى الإسلام الذى حرمه الشرق حتى مات .

❊ **إيتيان بيترى** : مستشرق فرنسى ، شارك فى الملتقى الدولى الثالث فى مناهج اللغة الأدبى بتلمسان - الجزائر فى نوفمبر ١٩٨٩ . وكانت محاضرته عن « منهج لسانى ذو مقاربة تقاليبية » .

❊ **برنار بويتيه** : مستشرق فرنسى ، ساهم فى الملتقى المذكور ، وكانت محاضرته عن « تأثير اللِّسانيات المعاصرة غير العربية فى الأنظمة اللِّسانية العربية » .

❊ **أندرتى رومان** : فرنسى ، اشترك فى الملتقى المذكور ، وكانت محاضرته عن « اللِّسانيات عند العرب وعلاقتها بالنظام اللِّسانى العربى » .

❊ **إدجار بيزانى** : وهو رئيس معهد العالم العربى فى فرنسا ، وعمل مستشاراً للرئيس « ميتران » ، ويسكن فى إحدى مقاطعات الريف الفرنسى .

❊ ❊

● **فى إسبانيا** :

❊ **البارو ماتشو دورم** : وهو صحفى معاصر ، اشتغل بالصحافة فى أورجواى الناطقة بالإسبانية فى أمريكا الجنوبية ، كما عمل فى راديو اريل ، وفى القناة العاشرة فى التلفاز ، كما ألقى عدة محاضرات فى الأدب بجامعات أورجواى ، والأرجنتين ، وكولومبيا ، وبرجواى ، هذا إلى جانب مجموعة ضخمة من البحوث فى الاقتصاد والثقافة العامة والسياسية مثل موضوع « استرداد الأراضى الفلسطينية » وموضوع « الجامعة العربية بصفتها تعبيراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً » وموضوع « الأمة الإسلامية » .

وفى حقل الإسلام نشر كتاب « أركان الإسلام » ، وكتاب « محمد رسول الله »

الذى ترجمه إلى العربية الدكتور عبد اللطيف محمود عضو البعثة المصرية فى إسبانيا .

وهو الآن يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الوطنى لنقابات العمال والمستشار العمالى فى مجلس الحكومة الإسبانية .

* **بسكوال دى جاينجوس** : عاش فى الفترة (١٨٠٩ - ١٨١٧) ، وتتلمذ فى جامعة مدريد على الأب أرتيفاس ، وعين مترجماً فى وزارة الخارجية .

* **لويس بورغيس** : لسانه إسبانى كسائر الأرچنتين التى يحاضر بها ، ويقال إنه متأثر بالثقافة العربية ، ويقول : إن جدته كانت إنجليزية تقرأ عليه التوراة ، حتى أصبح يتصور أن إسرائيل تشكل جزءاً عميقاً منه ومن المجتمع المسيحى ، ونسبه منذ الطفولة ذو عمق فى إسرائيل وارتباطه بها أقوى من رابطة الدم أو المنحدر العنصرى .

* *

● **وفى أمريكا** :

وفى مدينة « كامبير » بولاية « أوهايو » صدرت مجلة جمعية الدراسات الشرقية ، ولها فروع فى لندن وباريس وليبزج وتورنتو فى كندا ، وهى سياسية الطابع من وجهة نظر الغرب ، وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية ، وخاصة فى باب التعريف بالكتب .

وفى أمريكا أيضاً تصدر مجلة الشرق الأوسط ، ومجلة شئون الشرق الأوسط ، وطابعهما سياسى ، وأخطر منهما مجلة العالم الإسلامى التى أنشأها « صموئيل زويمر » فى سنة ١٩١١ ، وتصدر من « هارتيفورد » بأمريكا وكان يرأس تحريرها « كنث كراچ » ، وهى تبشيرية سافرة ، ومثلها فى فرنسا مجلة العالم الإسلامى .

كما أصدروا بكل اللغات الحية دائرة المعارف الإسلامية محشوة بالمغالطات ، كما أصدروا لها موجزاً بنفس تلك اللغات .

وأسست المستشرقة الروسية « أولجادى لبيديفيا » المشهورة باسم « كلنار »

الجمعية الشرقية الروسية ، وحذا حذو هذه الأمم شعوب أخرى مثل بلجيكا والدانمارك ، ثم أنشئت بكل جامعة ومعهد مجلات خاصة بالمشرقيات نيفت على ثلاثمائة مجلة متنوعة .

وفى عام ١٩٦٦ أنشئت جمعية دراسات الشرق الأوسط بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهى تنشر مجلتين لتيسير الاتصال بين علماء الأمريكان المهتمين بالمنطقة .

* *

● **وفى هولندا :**

تأسست « الدائرة العربية الهولندية » عام ١٩٥٥ ، وهى جمعية موالية للعرب ، حيث يلقون فيها محاضراتهم السياسية والاجتماعية والأدبية كلما طلبوا ذلك .

* * *

تولستوى

من أعلام المستشرقين الروس ، بل وأعلام الغرب كله ، لقد أدرك فى فجر حياته أن مصادر ما فى الغرب من تراث روحى هو الشرق ، فنادى بالعودة إلى الشرق للأخذ عنه ، وبدأ هو بعمق دراسته لتراث الشرق .

فهو يرى فى الغرب حضارات فاسدة ومفسدة ، أما الشرق فلم يزل فيه استمساك بالفضائل ، وذلك لاستمساكه بأصالة الفكر الدينى الذى يرى فيه « تولستوى » حصيلة جامعة للقيم الأخلاقية التى اختبرت لقرون ، والتى يجب أن تظل الحقيقة الراسخة الوحيدة فى مسيرة الشعوب .

قال « تولستوى » : إن أزمة الواقع المعاصر له تتمثل فى ابتعاد الناس عن القيم الأخلاقية النابعة من الإيمان الحقيقى بالدين .

● **من مؤلفاته :**

١ - كتاب الاعتراف : وفيه قرر أنه عند اقترابه من الخمسين بدأ يفكر فى حقيقة الموت والحياة ، وأعياه البحث حتى كاد أن ينتحر إلى أن لاحظ أن المعنى الحقيقى للحياة يجده هؤلاء الناس الذين يؤمنون بالدين فى دينهم ، فيعطيهم القوة والإيمان بالحياة ، ولهذا - كما يقول فى « الاعتراف » - أخذ يقترب أكثر فأكثر من المؤمنين .

٢ - طريق الحياة .

٣ - لكل يوم .

٤ - دائرة القراء .

وفى هذه الكتب التى كتبها بعد أن درس القرآن والسيرة المحمدية ، وكثيراً من أحاديث الرسول محمد ﷺ أودع الكثير مما أشارت إليه مما يتفق مع اقتناعه الذاتى وتصوراته عن الحياة . . وقد اجتذبته بشدة معانى القرآن التى تدعو إلى السماحة ، والتواضع ، وحب العمل ، وصلة الرحم ، وكذلك المعانى التى تحرم السرقة ، وشرب الخمر ، وقتل النفس .

٥ - أحاديث مأثورة : ويقع فى ثلاثين صفحة ، وصدر عام ١٩١٠ عن سلسلة « المفكرون الرائعون لكل العصور والشعوب » ، وكتب له مقدمة عن جزيرة العرب ، وعن حياة محمد وإيمانه بالمرسلين قبله ، وقال : « إنه اختار تلك الأحاديث من كتاب صدر فى الهند بالإنجليزية لمؤلفه عبد الله السودافاردى ، وجعل مقياس الاختيار أن تكون محتوية على حقائق عامة لكل الأديان .

* *

● **بيرسى شقيقة تولستوى :**

« بيرسى » مستشرقة روسية تأثرت بصيحة أخيها حين دعا إلى الاتجاه إلى الشرق مصدر الديانات التى هى أصل الأخلاق الفاضلة المستقرة .

وقد كتبت مقالاً عن الرسول محمد ﷺ ، وكتب تولستوى له مقدمة ، وجرى قلمه بتقييد ملاحظات وتصويبات فى المقال ، وهذه المقدمة التى كتبها لمقال أخته هى مجرد تعريف بمكانة الإسلام .

ولكن الرقابة حذفت من المقدمة الكثير ، وبقيت مسودة مقال « بيرسى » بأرشيف « تولستوى » فى موسكو .

* * *

فى اليابان

ظهرت الدراسات الاستشراقية تقليداً للغرب ، ومن أبرز المعاصرين « شيروتانكا شيرو » الذى يهتم بدراسة العوائق فى طريق المد الإسلامى .

* *

● **وفى النمسا :**

تأسست جمعية الشرق النمساوية بڤيينا ؛ وهى تقترن باسم المستشرق « هامر بورغستال » ، وهى معنية بثقافة الدول الإسلامية والعربية ، وقد نظمت سلسلة محاضرات لإلقاء الأضواء على العالم العربى بشكل عام .

كما تعمل الجمعية من خلال فعالياتها ونشاطاتها المختلفة على توطيد الصداقة العربية النمساوية ، وتضم عدداً من الأساتذة المستشرقين فى الهيئة الإدارية ، منهم البروفيسور « فايس » المعنى بجغرافية الدول العربية ، والبروفيسور « دوستال » رئيس قسم علوم الشعوب فى جامعة « ڤيينا » الذى سبق واختص بمنطقة الجزيرة العربية واليمن وله بحوث ودراسات مهمة فى هذا المجال ، كما تضم الجمعية عدداً كبيراً من الأساتذة من مختلف الأوساط والمهن من النمساويين والعرب ، كما ألقى الدكتور مصطفى عبد الله محاضرة حول التطوير الديمقراطى فى مصر بمعهد العلوم السياسية بجامعة ڤيينا ، وقد أقام البروفيسور « أميل ريتسك » الذى يُعَد من رواد الفن التشكيلى والمدرسة الانطباعية بالنمسا معرضاً ضم لوحات من مصر ولبنان ، تمثل منتصف الخمسينيات فى القاهرة والإسكندرية وغيرها ، ولبنان ، نتيجة لانطباعات من خلال زيارات مختلفة زارها « ريتسك » لدول عربية مختلفة وتأثر بالطبيعة والإنسان فى هذه الدول ، وقد سبق إنجاز هذه اللوحات المعروضة عام ١٩٥٦ بالألوان المائية ، كما عبر بريشته فى رسومه عن الإنسان فى مصر ولبنان فى الحياة اليومية ، كما عرض مناظر للمدينة وللأسواق والموانى والجوامع والعمارة الإسلامية وغير ذلك .

وقد حضر المعرض سفير مصر والمستشار الثقافى إلى جانب عدد كبير من الفنانين والجمهور النمساوى .

كما يوجد مقرٌ للجامعة العربية فى ڤيينا ، ونادٍ للمصريين ، لهما أثر فى التعريف بالعرب وبالإسلام .

* *

● **جمعية آداب اللُّغة العربية فى لندن :**

أسسها أحمد زكى أبو شادى المولود بحى عابدين بالقاهرة سنة ١٨٩٢ ، والمتوفى يوم ١٢/ ٤/ ١٩٥٥ ، وكان رئيسها المستشرق الدكتور « مارجليوث » .

* *

● **معهد الشرق بإيطاليا :**

كان بدء نشأته فى أوائل الثمانينيات ، ومن أنشطته ترجمة بعض كتب الأدب العربى إلى الإيطالية .

* *

● **قسم لغات الشرق الأدنى وثقافاته :**

وهو بجامعة « أنديانا » بالولايات المتحدة الأمريكية ، ويوجد فى معظم الجامعات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية والألمانية أقسام للغات والديانات الشرقية ، ولكنها تجد من الصهيونية كثيراً من المتاعب .

* *

● **معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بألمانيا :**

وهو يعمل فى إطار جامعة « فرانكفورت » بألمانيا ، ويشرف عليه الدكتور فؤاد سركين ، وقد أصدر المعهد « مجلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية » وهى سلسلة كتب بدأ إصدارها سنة ١٩٨٤ ، وقد صدر كتاب منها فى فبراير

سنة ١٩٨٨ تضمن جزءاً باللُّغة العربية والجزء الثانى مقالات بالألمانية والإنجليزية مع ملخصات لها بالعربية .

وقد أسهم فى هذا العدد المستشرقون الدكاترة « ادواركندى » ، و« إيكهارت نوى باور » ، و « كارل إيبرج » ، و« ديتمر بيشوف » ، و« فولفهارت هاينريكس » ، ومعهم « مازن يوسف عماوى » .

*

● **أهداف مطبوعات المعهد :**

يهدف المعهد إلى إبراز مكانة هذه العلوم وتاريخها ، وإلى جانب العرض التاريخى فإنها تقدم موضوعات هامة فى ميادين الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والعلوم الإنسانية فى إطارها التاريخى والعلمى ، إلى جانب النصوص الأصلية للتراثين الفكريين العربى والإسلامى ، وترجمتها إلى اللُّغات الأجنبية ، وبخاصة الألمانية والإنجليزية ، مع صرف النظر عن القضايا العربية المعاصرة الساخنة .

*

● **مضمون كتاب مجلة العلوم العربية والإسلامية :**

تضمن الكتاب الصادر فى فبراير ١٩٨٨ - وهو فى (٤٣٠ صفحة) - عدداً من البحوث اهتم بها المستشرقون :

١ - كتاب الآثار العلوية : وهو بحث باللُّغة العربية للدكتور فؤاد سركين حول رسالة « ثاوفرسطس » ، موضوعه تعليل الظواهر الجويّة ، وكان « أرسطو » قد تناول بالبحث هذا الموضوع وترجمه الحسن بن البهلول - فى القرن الرابع الهجرى - ومما تناوله تحليل وتعليل ظواهر الزلزال ، والبرق ، والرعد ، وسقوط الأمطار ، والهالة المحيطة بالقمر .

٢ - كتاب « ثلاث رسائل فلسفية » لجابر بن حيان هى كتاب : المعرفة ، وكتاب النفس ، وكتاب القسمة ، وهى كتب تمهيدية للفلسفة الإسلامية العربية .

٣ - ملخصات بالعربية لكتب أجنبية ، سواء كتبها عرب أو أجانب باللُّغات الأجنبية أهمها :

(أ) مقالة البيرونى فى سير سهمى السعادة والغيب ، كان قد كتبها « ديفيد نيجيرى » و« ادوارد كندى » ، وفؤاد حداد .

(ب) كتاب ملاحظات فى مصطلحات الاسطرلاب ، بقلم الأستاذ « باول كونيتسن » .

(جـ) كتاب طريقة استخراج سمت القِبْلة - فى رسالة علم الظل لابن الرقام - وهو بالإنجليزية للدكتور « خوان كارندل » ، ويتناول موضوعى : استخراج البُعد الدائرى لأى مكان من الأرض عن مكة المكرمة ، ثم تحديد اتجاه القِبْلة المشرفة من المكان نفسه .

(د) كتاب علم الفلك العربى و« كوبرنيكوس » وضعه بالإنجليزية الدكتور جورج صليبا ، أثبت فيه أن الطرق التى اتبعها « كوبرنيكوس » - فى وصف حركة الكواكب والسيَّارات مطابقة للطريق التى سلكها علماء الفلك المسلمون من قبله ، مما يعزز احتمال نقل « كوبرنيكوس » لنظريته المعروفة عن العرب .

(هـ) كتاب « حركات الأرض فى رسائل إخوان الصفا » للأستاذ « اليساندرو باوسانى » وهو باللُّغة الألمانية ، ويبحث عن المقاطع الواردة فى رسائل إخوان الصفا حول حركة دوران الأرض .

(و) بحث « رسالة أبى سهل الكوهى حول عمل مخمس متساوى الأضلاع فى مربع معلوم » ، وهو بحث وضعه الأستاذ « بان بيتر هوهنديك » بالإنجليزية ، معتمداً فى ذلك على عدَّة مخطوطات ، وعلى رسالة الكوهى التى أهداها إلى الملك شرف الدولة فى أواخر القرن الرابع الهجرى .

(ز) بحث « طريقتان للبيرونى فى رسم الخرائط » للأستاذين « إدوارد كندى » ، و« مارى تيريز ديبارنو » ، وفيه يعرض طرق رسم كرة على سطح

مستو ، وبخاصة طريقتى « تساوى الأبعاد السمتيَّة » ، و« الإسقاط الكروى » السهلة .

(ح) بحث للأستاذة الألمانية « إيرين فيلمان » يدور حول سؤال هل قانون ابن سينا انتحال لقانون الحاوى للعالم أبو بكر الرازى ، وهو يناقش ما قاله البعض من أن ابن سينا اعتمد فى معظم أجزاء بحثه على كتاب « الحاوى » للرازى ، معتمدين فى ذلك على مخطوطة موجودة فى لندن بعنوان « حاوى زكريا ورازى » بينما أكدت المؤلفة أن المخطوطة المشار إليها لا تتطابق مع كتاب « الحاوى » للرازى .

(ط) بحث علمى للأستاذ الألمانى « فولفهارت هاينزيكس » بعنوان الترابط الاصطلاحى بين الاستعارة والبديع فى النقد الأدبى القديم عند العرب ، أكد فيها الباحث أن أُدباء العصر العباسى استخدموا مصطلح « البديع » مرادفاً لمصطلح « الاستعارة » .

(ى) دراسة وضعها الدكتور چورج مقدسى بالإنجليزية بعنوان « جمعيات القانونيين فى العصور الوسطى » ، عالج فيها قضيتين مترابطتين من قضايا تاريخ « علم الحقوق فى القرون الوسطى » هما وجود الطوائف والمدارس الفقهية فى الإسلام ، ونشوء جمعيات القانون .

* *

● أقسام الدراسات الإسلامية بالغرب :

معظم جامعات الغرب - فى أصلها - ملحقات بالكنيسة ، ثم استقلت بإداراتها وميزانياتها ، وظلت فى توجهاتها الكنسية ، فهى باسم الدراسة المقارنة للأديان أو العلوم الإنسانية كالتاريخ والاجتماع وعلم النفس تبث سمومها فى تكوين الطالب غربياً مسيحياً أو يهودياً ، أو شرقياً مسلماً ، أو بوذياً أو غير ذلك .

ولما كان الإسلام هو صاحب الإيديولوچية الواضحة القادرة على تقديم منهج متكامل للحياة نافع للبشرية ، وهو قابل للحوار ، بل داع إليه كان

خوف النصرانية والمسيحية منه عظيماً ، وبخاصة الأقلية اليهودية ، فأقيمت تحت اسمه البرّاق أقسام الدراسات الإسلامية ، لاستقطاب مَن يستهويه هذا الجانب ، ثم تقديمه من وجهة نظر خصوم بارعين مدرَّبين على العرض المشوَّه للإسلام الذى يخدم أغراضهم التى أهمها تقزيز غير المسلمين منه ، ثم تشويهه وجعله فى نظر المسلمين قضية فيها نظر وليست من مُسلَّمات الفكر المعتمدة .

وقد بلغ عدد هذه الأقسام فى الجامعات الغربية أكثر من ستين قسماً فى أكثر من ستين جامعة فى الغرب ، على رأس الأقسام أساتذة يهود .

ومحاورهم الأصلية تدور - فى كياسة - حول التشكيك فى الوحى ، وفى السُّنَّة ، وفى تجريح الرسول والصحابة ، وتجريح كبار حملة الإسلام فى تاريخه الفكرى والحركى .

ومما يجعل أثرهم خطيراً ومثمراً للسوء :

١ - سياسة تطبيع العلاقات بين الغرب والشرق ، والشمال والجنوب ، نتيجة حاجة الضعيف إلى القوى ، والفقير إلى الغنى بالمال أو التقنية الحديثة .

وتمارس ذلك الكنائس والجامعات بوجه عام ، وأخيراً فى المركز الإسلامى لمنطقة البنى - حى كولونى بالولايات المتحدة ، أخلى المسجد من أى عالم شرعى ، وانتدب له متحدث جيد بالإنجليزية فتح له المعبد اليهودى المجال للمحاضرة فيه ، وبالتالى فتح لهم - أى اليهود ، وللنصارى من قبل - أبواب المركز الإسلامى ، ولا مجال للتغيير لأن المسيطرين على المسجد باكستانيون تربوا فى مدارس كنسية علمانية ، أو رعاع قدموا لأمريكا من أجل الرغيف ، وليس عندهم رصيد من الإسلام يمكنهم من مناقشة ما يُعرض فى المسجد فميزانهم علمانى - يعنى العقل - دون الموازين الشرعية .

٢ - الحرص على المؤهل الجامعى الذى جاء من أجله العربى أو المسلم الشرقى ، مع استمرار عملية غسيل المخ له حتى يتحول فى طريقة تفكيره وبحثه إلى نمط التفكير والبحث وترتيب الأولويات الفكرية والبحثية للأستاذ اليهودى أو النصرانى ، وبعدها يُعطى المؤهل العالى ماچستير أو دكتوراة .

وبهذا يرجع الخريج المسلم إلى بلاده أحد سدنة التابوت اليهودى أو المذبح الصليبى متوجاً باسم إسلامى .

٣ - وقد استغل اليهود ويخدمهم الكثيرون من المستشرقين والقساوسة وأصحاب الأقلام النصارى والعلمانيين - على غرس أسباب الاختلاف والتمزق بين المسلمين كالخلافات بين السُّنَّة والشيعة ، او بين المعتزلة وأهل السُّنَّة ، أو بين السَلَف والأشاعرة أو الماتوريدية أو الجهمية ، وغير ذلك مما يمكن أن يبعث خلافاً له جذور قد دفنت تاريخياً كبعض الخلافات الفقهية أو الاعتقادية فى حد المرتد أو رجم الزانى المحصن ، أو زواج غير المسلمة وغير المسلم بالمسلمة ، أو التبنى أو الاختلاط ، أو التبرج وحدود ما يجوز وما لا يجوز ، أو التشبه بالأجانب غير المسلمين فى الزى والعادات والأعياد ، وحجم ما يُقبل وما لا يُقبل . . إنها دوّامة كبرى تُشغِل المسلمين فى الغرب عن نقاء الإسلام ، وعن جوهره الأصيل .

٤ - أن البلاد الإسلامية بحكم ساستها المبهورون بالحضارة الغربية ، المرتبطون بها وبقياداتها سياسياً واقتصادياً ، ولا يحبون أن يخسروا هذه العلاقات ، فلا يقدرون على العمل الجاد المتوازى مع ما ذكرناه من إنشاء أقسام ، ولو جامعة واحدة إسلامية مع شبكة تلفاز تربط المدن الكبرى ذات الجاليات الإسلامية الكبيرة بالفكر الإسلامى الصحيح مثل لندن وشيفيليد وباريس ونيويورك ولوس أنجلوس ، وبوجهات النظر فى السياسة العربية والإسلامية ، فى القضايا المطروحة من وجهة نظر اللاإسلاميين فى الإعلام اللاإسلامى .

* * *

● لماذا ينصاع الغرب للأقليات اليهودية ؟

أولاً : لأن « البايْبُل » المسمى بالكتاب المقدَّس عند النصارى ، وهو الإنجيل يضم عدة أسفار من التوراة يُتعبد بها ، فكل نصرانى تضم عقيدته التوراة أو جزءاً لا بأس به منها ، وفى هذا الجزء أن نزول المخلِّص « يسوع » سينزل بعد إقامة مملكة بنى إسرائيل ، ومن ثَمَّ فمن عقيدتهم وجوب إقامة مملكة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات ، ومن هنا كانت سياسة تيسير المطالب اليهودية بأجمعها .

ثانياً : لأن المادية سيطرت على القساوسة من أكبر قسيس إلى أصغر شمَّاس أو عضو فى جوقة الأناشيد والموسيقى بالكنيسة ، واليهود - بخبرتهم - قادرون على لَيِّ أعناق هؤلاء النصارى فى آفاق الاقتصاد الاستهلاكى والإنتاجى ، وبخاصة مجالات إشباع الغرائز والبطون بوسائل الإعلام ، وصالات الرقص والمجون ، وحانات الخمور ، وطاولات القمار ، وأفلام الجنس الخاصة فى قنوات تلفازية بالأجر والاشتراك الشهرى ، أو عن طريق الڤيديو ، مما أصاب أوروبا وأمريكا بالدوار ، والعجز عن الخروج من الهاوية والتبعية ، وعن القدرة على استعادة الشخصية ، بسبب موجات الانحلال التى تقودها الصهيونية من أجل التفرد بزمام المرافق المهمة فى الحياة .

وهذا الدهاء اليهودى الصهيونى الخبيث ليس قاصراً على دول الغرب والمسلمين ، بل إنه ليثمر فى كل مكان - كأى عطب - يؤثر فيما حوله ، وينقل العطب مما حوله إلى ما حوله ، حتى يدمر العالم بأسره .

* *

● **معارضات شرسة :**

ومع مزيد التلاحم بين العرب وأمريكا - وبخاصة بعد اكتشاف الغرب قيمة سلاح النفط واكتشاف أمريكا قدرة العرب على استخدامه ، فإن الاهتمام بالتعرف على الشرق الأوسط على حقيقته زاد فى المجتمع الأمريكى ، لا سيما وأن هجرة الفلسطينيين إلى أمريكا ، وتقبل أمريكا للمهاجرين ليُفسحوا المجال لليهود فى فلسطين ، هذه الهجرة أثبتت أن الفلسطينيين أضحوا رصيداً بشرياً منتجاً ، وأنهم رافد للثروة فى الولايات المتحدة الأمريكية . أقول : مع التلاحم والهجرات الفلسطينية زادت الرغبة فى التعرف على الشرق الأوسط فكراً وديناً واقتصاداً ولغة وقضايا سياسية ، من واقع الحقيقة ، لا من تصوير أعدائهم .

والوسيلة الطبيعية إلى ذلك هى إيجاد برامج للدراسات العربية أكاديمياً فى الجامعات والمعاهد الأمريكية .

فتركز هجوم اللُّوبى الصهيونى فى عام ١٩٨٤ من خلال تهديد وابتزاز ومضايقة هيئات التدريس والمفكرين والطُلاب الذين يساعدون فى وضع البرامج وإقرارها ويتعاطفون مع المجموعات المؤيدة للعرب وقضاياهم ، ومن ثَمَّ فرض السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام فى الجامعات والمعاهد العلمية والمدارس الثانوية وما دونها .

كتبت ابنتى « لمياء » فى المجلة المدرسية تنتقد الإدارة العامة للتعليم فى منطقة « نسكيونا » بولاية نيويورك ، وكان فيما قالت : نحن جيل التعليم الثانوى لم نكن موجودين وقت مذابح اليهود فى ألمانيا ، فلماذا تُعطَّل دراستنا لمحاضرات عن ماض لم نعشه ، ولماذا لا يحاضرنا أناس فى مشكلات معاصرة كقضايا أبناء الحجارة وقنابل إسرائيل الموجهة لهم ، أو على الأقل : نسكت فلا نتحيز لمشاكل تقع فى غير أمريكا ؟

فقامت ضجة وتهديدات وتوبيخات لها وتسفيه لما تقول بعضه من « ألساناجوج » - أى المنتدى اليهودى .

إن غسيل المخ وحشوه بما يبرز اليهود شعباً مظلوماً وخادماً لشرايين حياة البشرية ، وأنهم - بأموالهم - عصب الحياة الإنسانية ، وأنهم الشعب المختار لإنقاذ الغرب والشرق والشمال والجنوب ، هو برنامج السياسة الأمريكية العامة ، ولتغلق الأفواه أو تقل : « يهود فوق الجميع » .

ويتجلى هذا التعدى على حرية الرأى فى الوثائق السرية الخاصة بـ « اللَّجنة الأميريكية اليهودية » وفى الدليل الجامعى الخاص بـ « اللجنة الأمريكية - الإسرائيلية للشئون العامة » وهى المسماة « أيباك » التى حصلت عليها جريدة الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ حيث تتضمن معلومات تفصيلية عن خطة اللُّوبى الصهيونى لمواجهة ما يسميه بالحملة المعادية لإسرائيل فى الجامعات الأمريكية . .

❊ أيباك و « الدليل الجامعى » :

يخدم هذا الدليل أقوى لجنة صهيونية وهى لجنة « أيباك » ، وهو مسخَّر لخدمة أغراض الصهيونية ، وفى مقدمتها محاربة العرب أينما وُجِدوا ، والسيطرة على الرأى العام الأمريكى ، عن طريق تزويده بوجهة النظر الإسرائيلية ، وإخضاعه لمقولاتها المضللة ، ويقولون إن ٦٤ ٪ من الأمريكان الذين فى سن الالتحاق بالجامعات من المؤيدين لإسرائيل ، وأن مستوى طُلاب الجامعات فى علوم السياسة الخارجية - وبخاصة المتعلقة بالشرق الأوسط - ضعيف جداً ويجب أن يبقى هكذا .

❊ ❊

● رسالة سرية :

بعث « إيرا سيلفرمان » - مدير برامج اللَّجنة اليهودية الأمريكية - إلى « ميلفان ميريانز » رئيس اللَّجنة الوطنية المكلَّفة بمراقبة ومتابعة النشاط العربى فى الولايات المتحدة ، ويصف فيها كيف استطاع الأول عرقلة مشروع لتأسيس قسم للدراسات العربية ، فى جامعات « سوارثمور ، وهافرفورد ، وبراين ماور » ، وكيف ساعده فى ذلك أحد أعضاء الكونجرس ، ويعلل لما فعله قائلاً : « الآن من شأن إنشاء ذلك أن يتيح الفرصة لتفهُّم القضايا العربية من جانب الأمريكيين ، كما أنه يخلق الأجواء المشجعة لإقامة علاقات طيبة بين البلاد العربية وهذه البلاد فى المستقبل » .

كما تقول الوثائق والدليل فى تعليل منع إقامة برامج للدراسات العربية :

« إن من شأن هذه البرامج الدراسية أن تشجع البحوث حول العالَم العربى المعاصر ، وأن تنشر الرأى السياسى العربى فى هذه الجامعات ، وبالتالى بين الرأى العام ، وتنبغى الإشارة إلى أن الجامعات الأمريكية تُخَرِّج رجال السياسة الأمريكيين ، مما قد يترك الأثر فى المستقبل على تفكيرهم وقراراتهم ،

كما أن هذه الظاهرة (إنشاء مراكز دراسات وبرامج عن البلاد العربية) ستتفاقم لتشمل جميع الجامعات الأمريكية الحكومية فى المستقبل » .

وتوصى بأن يكون الحديث مع المسئولين وصنَّاع القرار سراً ، وبكافة الأساليب غير المباشرة ، حتى الملتوية منها ، ولا حرج فى استخدام الكذب والدس لكيلا تظهر على الوجود .

* *

● **مزاعم صهيونية :**

نجح اللُّوبى الصهيونى ، فمنع تخصيص مبلغ ٢٢ مليون دولار كانت رصدتها بعض الشركات الأمريكية العاملة فى الشرق الأوسط لإنشاء مركز للدراسات عن الشرق الأوسط فى « كاليفورنيا » .

وكان « روبرت فلور » - أحد أعضاء مجلس أُمناء الجامعة ، ورئيس مؤسسة « فلور » التى لها مشروعات فى السعودية - من أصحاب فكرة إقامة المركز الذى قال عنه : إنه كان يهدف إلى تفهم أفضل لمنطقة الشرق الأوسط ، والحدِّ من سوء تفهُّم القضايا الأساسية الإسلامية والعربية فى الولايات المتحدة .

واحتجت المعارضة بأن تمويل مركز للدراسات الأكاديمية من جهة شركات لها مصالح مع دول الشرق الأوسط ، سيسىء إلى الحرية الأكاديمية فى الجامعات ، وسيكون تحت إشراف إحدى الحكومات العربية .

ووصف « فلور » : « هذه الحُجَّة غير صحيحة ، وأن التناقض الذى يتحدثون عنه لا وجود له إلا فى خيالهم » .

وجاء فى تقرير أصدره اللُّوبى الصهيونى : إنه يجب الحفاظ على التفوق العددى للطُلاب اليهود فى هذه المراكز ، وعدم السماح للأطراف الأخرى بالتفوق فى هذا المضمار .

كما شن التقرير هجوماً على الجامعات التى لا تلتزم التعتيم على كل ما لا يطرح وجهة النظر الإسرائيلية .

وأشار التقرير إلى نجاح المنظمات الصهيونية فى إغلاق العديد من المراكز التى تقدم برامج عن الشرق الأوسط ، أو الدراسات الإسلامية ، فى عدد من الجامعات الأمريكية ، لأنه - كما يدَّعى التقرير - « إن أى انتقاد لإسرائيل ، وأى اعتراف بإنجازات الحضارة العربية ، هو اعتداء على إسرائيل ، وانحياز للعرب ، وإن تدريس الحضارة الإسلامية هو طعن وإلغاء للتراث اليهودى » .

وقال دليل « أيباك » الجامعى : إن المجموعات المؤيدة للعرب فى الجامعات صغيرة ؛ لكنها نشيطة ، ومعظم أفرادها من الطُلاب الأمريكيين والأجانب مما يستوجب التصدى لها بكل حزم .

ثم قدَّم الدليل قائمة بأسماء النشطين ضد النفوذ الصهيونى ، ومن بينهم :

١ - إسرائيل شاحاك : وهو إسرائيلى عاش « المذابح » اليهودية أيام النازية - المشتبه فى حقيقتها - وفرَّ من إسرائيل « النازية الجديدة » .

٢ - إلمر برغر ، وهو من أبرز المعادين للصهيونية .

٣ - فيلتون أو بنزنغر : عضو التحالف اليهودى ضد الصهيونية .

٤ - مايكل بارام : وهو يهودى أمريكى خدم فى الجيش الإسرائيلى ، وفرَّ منه للجرائم التى اقترفها .

٥ - نوام شويسكى : أستاذ فى جامعة « ماساشوستس » .

٦ - حاتم الحسينى : عن منظمة التحرير الفلسطينية لدى الأُمم المتحدة ورئيس مكتب الإعلام الفلسطينى .

٧ - حسن عبد الرحمن .

٨ - إدوارد سعيد : أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة « كولومبيا » ، وعضو المجلس الوطنى الفلسطينى [١] .

---

(١) جريدة الشرق الوسط فى ٢٠/٦/١٩٨٤

الأغراض الاقتصاية

● **التجارة** :

احتاج الإيطاليون وغيرهم من المشتغلين بالاتجار مع شرق البحر الأبيض أن يتعلموا لغة العرب وآدابهم ، وأن يتعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم حتى يمكنهم أن يحسنوا معاملتهم ، ويعقدوا معهم المعاهدات بلغتهم ، ففى عام ١٢٦٥م كُتِبَتْ باللُّغة العربية المعاهدة التجارية التى أُبرمت بين تونس وبيزا ، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة انفردت إيطاليا فى أعمالها عن بقية الصليبيين واهتمت بتحسين علاقاتها التجارية مع الشرق الإسلامى ، فكانت « البندقية » همزة الوصل بين الشرق والغرب ، وتكلم أهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية فى قبضة محمد الثانى سنة ١٤٣٥م فأضافوا التحدث بالتركية إلى جانب التحدث باللُّغة العربية .

وتأثرت فرنسا بتجارة الشرق ، واتصلت بلبنان بمرفأ مرسيليا التجارى ، وكانت فرنسا تستورد منه الحرير والنبيذ والأخشاب ، وبلغ قيمة ما تشتريه من حرير لبنان (٤٠٠ر٠٠٠) فلس فى السنة ، وهذه التجارة الواسعة اقتضت إقامة قنصلية لفرنسا فى لبنان فانتدبت لها أبا نوفل الخازن .

وتوسع الفرنسيون فى تجارتهم الشرقية فأقام « ريشليو » ثم « هنرى الرابع » شركة ملاحة شرقية ، فما كان القرن السابع عشر ، وفى عهد « لويس الخامس عشر » ، إلا وأندية فرنسا مؤثثة بتحف الشرق النادرة ، ورياشه الفاخرة ، وطاب للفرنسيين أن يستخرجوا كنوز الشرق ، فألّفوا بعثة برياسة « شارينتييه » سنة ١٦٦٥م ، وكان جُلُّ أعضائها من المجمع العلمى - لجوب الشرق ودرسه ، واستخراج غناه حتى توصلوا إلى بسط حمايتهم على الهند سنة ١٧٤٠م ثم لحق بهم الإنجليز إليها .

وفى سنة ١٧٩٧م تألّفت حملة نابليون إلى مصر ، وفيها بعثته العلمية التى كان قوامها المستشرقين والمترجمين الشاميين من أمثال الأب « روفائيل » الراهب المخلص لهم و« ميخاييل الصباغ » و« نقولا ترك » ، وعلماء أعلام فى كل فن

من فنون الثقافة فى ذلك العصر ، ليمكن اعتصار كل خيرات البلاد والسيطرة على كل شىء فيها من إنسان وحيوان ونبات ومعتقدات ، وكانت هذه الحملة آخر الحلقات التى اتصل بها الغرب بالشرق ، اتصالاً لم ينفصم من بعدها ، وكان من أثرها انتشار الثقافة الغربية فى الشرق ، وازدهار الاستشراق فى الغرب [١] .

وقد أنشأت ألمانيا مدرسة اللُّغات الشرقية سنة ١٨٨٧م لتعليم هذه اللُّغات للتجار والسفراء ، وقد أنفقت شركة هندية على « جالان » (١٦٤٦ - ١٧١٥م) فى رحلته إلى الشرق لتبنى سياستها الاقتصادية على أساس المعلومات التى يقدمها لها ولخبرائها [٢] .

* *

● التكسب من الاستشراق :

وكثيرون ممن لم يجدوا فى أنفسهم القدرة على منافسة أقرانهم فى أبحاث الطبيعة والعلوم الكونية وأمثالها وجدوا أن أنسب مجال يبرزون فيه هو المجال البكر الذى لا يقوم على اقتحامه إلا القليل وهو مجال دراسة المشرقيات .

* *

● الترف والهواية :

وربما كان بعض المستشرقين من ذوى الجاه والمال ، ويستهويهم دراسة الغريب الذى يجهلونه ، فأرادوا الكشف عن التراث العربى والإسلامى بوجه خاص ، والكشف عن تراث الشرق بوجه عام يحدوهم حب الاستطلاع ، وإن لم يُلقوا رداء المسيحية أو اليهودية عن كواهلهم إبَّان دراستهم ، فكان لذلك آثاره فى دراساتهم ، ومنهم كثيرون من أصحاب النفوس الكبيرة المتمردة على استعباد الفكر البالى البيِّن فساده ، يستوى فى ذلك الذكور والإناث ، ونضرب لذلك مثلاً « إيزابيل ايبرهارت » أديبة الصحراء .

* * *

---

(١) المستشرقون ص ٨ ، ٩ (٢) المستشرقون ص ٣٣

إيزابيل إيبرهارت الروسية ثم السويسرية
(١٨٧٧ - ١٩٠٤)

● مولدها ونشأتها :

ولدت « إيزابيل إيبرهارت » فى روسيا - ابنة غير شرعية - لأرملة وزير الداخلية ، وعلَّمها والدها ركوب الخيل والفصحى ، وعاملها معاملة أشقائها الذكور ، وقد كانت تعيش مع أمها فى جنيف ، وشيئاً فشيئاً أخذت ترفض التقاليد ، وتضرب عُرض الحائط بالسلوك المتبع بين أبناء الطبقة العليا . فارتدت ملابس الرجال ، وسعت إلى أن تكون كاتبة صحفية ، وفى هذه الفترة من حياتها توجهت شطر الشرق ، حيث آثرت صحراء المغرب العربى ، وقد قالت : « إننى بدوية رحّالة منذ الصغر ، فقد كنت أحلم دائماً وأنا أنظر إلى الطريق الأبيض الممتد وراء الأفق حيث الشمس أكثر سطوعاً فوق المجهول الساحر » .

❊

● بين المساجد والصحراء :

وما أن وطئت قدماها أرض الجزائر حتى أخذت تتردد على المساجد ، ثم تتزود ببعض متاعها إلى الصحراء ، وما أن عادت إلى جنيف بعد رحلتها هذه حتى أقنعت أمها بالتوجه إلى الجزائر واعتناق الإسلام حيث وجدت فيه الحقيقة التى تبحث عنها .

ثم انضمت إلى الطريقة القادرية الصوفية ، فأثارت حولها شكوك حرس القيصر والشرطة الفرنسية ، والجماعات الإسلامية المناوئة للطريقة القادرية ، ولم يحل ذلك دون كتابتها عن جمال الصحراء وغروب الشمس .

❊

● **زواجها :**

تزوجت جندياً جزائرياً مسلماً أحبته هو « سليمان » فى وادى عين صفرا ، وكانت معه فى الليلة السابقة لوفاتها فى نفس الوادى الذى جرفتها سيوله فماتت غريقة وهى فى السابعة والعشرين من عمرها وعثر عليها بعد ذلك وسط أوراقها المبعثرة فى الطين ، التى تتضمن قصصاً قصيرة ويومياتها وروايات لم تتم ، جميعها مستمدة من رحلة حياتها .

❊

● **أدبها وأعمالها الكاملة :**

كثيراً ما يقارن النقاد بين حياتها وحياة الشاعر الفرنسى الشهير « رامبو » إذ تجمعهما الرغبة فى التمرد على المجتمع ، والقدرة على ترك كل شىء بحثاً عن الحرية والحقيقة ، حتى لو كان الثمن هو الموت فى مقتبل العمر ، وقد أكد هذا « ليوتيه » القائد العسكرى الفرنسى الذى كان يتولى مهمة توسيع المستعمرات الفرنسية لتشمل الصحراء الجزائرية بأكملها ، والجزء الشرقى من الغرب الجزائرى ، فقال : « إنها كانت لا تهتم بما يقوله الناس ، أو بأحكامهم المسبقة ، غير خائفة أو مستسلمة للحياة التافهة ، إنها عصفور يحلق فى الفضاء » .

❊

● **الاحتفاء بإيزابيل :**

وقد احتفت الدوائر الأدبية الفرنسية بصدور الأعمال الكاملة للأديبة المستشرقة « إيزابيل إيبرهارت » للمرة الأولى فى فبراير ١٩٨٩ ، وهو الوقت الذى صدرت فيه عدة كتب تروى سيرتها الذاتية ، من أهمها « السيرة الذاتية » التى وضعتها « أدموند شارك رو » زوجة « هاستون دوفير » وزيد الداخلية الراحل بعنوان « رغبة فى الشرق » .

❊ ❊

الأغراض التبشيرية

أراد الرهبان أن يتعرفوا على اللُّغة العربية ولغات البلاد الشرقية الوثنية والإسلامية ، رغبة فى نشر المسيحية بهذه البلاد بعد أن انكمش سوقها فى أوروبا ، وبعد أن قامت الثورات الدينية والاجتماعية فى وجه رجال الدين المسيحى ، وقلَّب قادة المسيحية أوجه النظر فرأوا ألا نجاة للمسيحية إلا بمحاولة إيجاد حقول جديدة لها ، وارتئى أن الشرق الفقير الجاهل سيكون الفريسة السهلة للغزو المسيحى .

وقال المؤرخ « رينيه جروسيه » و« جوانفيل » الذى رافق الملك « لويس التاسع » فى حملته : « إن لويس فى خلوته هو أوَّل مَن فكر فى سلاح التنصير ، وفى جمع كلمة أوروبا على هذا المنهج ، والعمل على استخدام مَن يمكن اغراؤهم من نصارى الشرق ، وإنشاء قاعدة فى الغرب للعمل الصليبى على الأراضى الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل فلسطين والأردن ولبنان وجزءاً من سوريا والبلاد المقدسة ، وحتى الإسكندرية [١] .

والسبيل إلى ذلك : هو الدراسة المستفيضة للغة البلاد التى سيُبعث إليها المبشِّرون ، والتعرف على عادات أهلها وتقاليدهم وتاريخهم وأنسابهم ، وعلى الصراعات القائمة بينهم وأسبابها ، لاستغلالها فى دوام تمزيق المجتمع ، كيما يسهل ازدراده لُقْمة لُقْمَة .

ولهذا قضى مجمع ڤيينا عام (١٣١١م) ، برئاسة البابا « كلنتس الخامس » أن يؤسس فى « باريس » و« أكسفورد » ، و« بولون » دروساً فى اللُّغة العربية والعبرانية ، ليتسنَّى لهم أن يدرسوا الطب الذى فى كتب العرب ، على غرار المدرسة العربية التى أنشئت فى « إشبيلية » عام ١٢٥٤ هـ [٢] ، ثم أسست مدرسة الدعاية

---

(١) حقائق عن التبشير ص ١٠٩

(٢) نذير حمدان : الرسول فى كتابات المستشرقين ص ١٢ - سلسلة دعوة الحق (٣) .

« البروباجندة » عام ١٦٢٧م فى عهد البابا « أريانو الثامن » وقد جعلها مركزاً ذا نفوذ لدراسات اللُّغات السامية ونشر ثقافتها .

ثم أنشا الكاردينال « بورمبو » مكتبة « أمبروزيانا » وجعلها تحت إشراف « جيجو » لإذاعة الثقافة العربية بين الذين يتصدون للتبشير .

ثم أنشأ الأب « ماتيوريبا » المعهد العالى للغات الشرقية فى « نابولى » ، ثم أنشىء المعهد البابوى للُّغات الشرقية وألحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية ، ثم تبعه مؤسسة « كايتيان » ، والمعهد الشرقى المنشأ فى « روما » سنة ١٩٢١ والذى يتولى نشر مجلة « الشرق الحديث » [١] ، وكان الكرادلة يتلقون أوامر « روما » لتدريس العربية ، فبدءوا بها إذعاناً ، وأتموها محبة لما فيها من الثقافة الرفيعة .

فالكاردينال « فريدريك دى مدسيس » وهو من الأُسرة المالكة بإيطاليا أنشأ عام ١٥٣٦م مطبعة فى فلورنسا وطبع فيها (١٨٫٠٠٠) نسخة من الإنجيل باللُّغة العربية ، وأرسلها إلى البلاد الشرقية ، ونشر فى مطبعته كتاب « قواعد العربية » كما نشر فلسفة ابن رشد التى لقيت رواجاً كبيراً فى « نابولى » ، التى كانت يومها محضناً للُّغة العربية ، وكان سر الاهتمام بنشر فلسفة ابن رشد هو ما أذيع عنها أنها فلسفة إلحادية تخالف الإسلام وتهدمه ، فرأى المستشرقون فى نشرها عملاً من أعمال هدم الإسلام بأيدى أهله ، وأقلُّ ما فى نشرها أن تصرف العقول إلى الجدل حولها بدلاً من الانطلاق إلى تعميق مفاهيم الإسلام فى أهله وبسطها إلى غير أهله .

* * *

(١) المستشرقون ص ١٥٢ - الطبعة الثانية .

استصلاح المسيحية

لعبت الحروب الصليبية دوراً فى حمل بعض الغربيين على إعادة النظر فى أمور دينية لا تمت إلى المسيحية الصحيحة بصلة مثل « صكوك الغفران » والادعاء بأنه لا اتصال بين الإنسان وربه إلا بواسطة الكنيسة وحدها ، وقد عرفت هذه الحركة باسم « الإصلاح الدينى » تبناها « يوحنا كليڤن » ثم تبناها « لوثر » ، واستدعت هذه الحركة مراجعة أصول الدين المسيحى ، فترجم العهد الجديد إلى « اللاتينية » .

وعندما قامت حركة « لوثر » (١٤٨٣ - ١٥٤٦) بالثورة على الڤاتيكان ، بدأ دعوته بالدعوة إلى دراسة التوراة فى لغتها الأولى ، وهى العبرية ، ولما كانت العلاقة بين العبرية وبين العربية وثيقة ، وكانت العبرية حينئذ لغة تائهة المعالم ، وغير مضبوطة ، فإن الاعتماد على اللُّغة العربية فى التعرف على الكلمات العبرية كان أمراً ضرورياً .

ولهذا نشأ فى ألمانيا نشاط جم لدراسة العبرية والعربية من أجل بعث الكتاب المقدَّس فى صورة صادقة جديدة ، بعيدة عن التفسيرات الخرافية التى تبناها الكنيسة .

وتبع « لوثر » فى ذلك مَن يتجهون اتجاهه فى شتَّى عواصم أوروبا .

وقد استرعى الاهتمام بالعبرية والعربية ودراساتهما الرغبة الشديدة فى التبشير بالنصرانية فى بلاد الشرق بعامة .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن انتشار الاستشراق فى أوروبا - ظهر بصفة جدِّية لا فردية - بعد فترة ما تسمى بالإصلاح الدينى .

ولما كانت باريس مهداً للعربية فقد رحل إليها من الطلبة الألمان « مالينوخ » و« لبرخت » و« فايشر » (١٨٠١ -١٨٨٨) و« إيفلد » (١٨٠٣ - ١٨٧٥) ، وقد تتلمذ للأخيرين « نولدكه » عام (١٨٣٦) ، و« سخو » مؤسسو المدرسة الشرقية فى برلين ، و « بروكلمن » مؤرخ الآداب العربية ، و« لهسن » (١٨٤٤ - ١٩١٨) أستاذ مدرسة « غوطنفن » .

وفى منتصف القرن الثامن عشر ازداد النشاط لضبط التوراة والكتاب المقدَّس ،

والموازنة بين النصوص فى اللُّغة العبرية والنصوص فى اللُّغة العربية وغيرها من اللُّغات ، مما دعا إلى النشاط فى تعلم العربية ، وكان من أبرز المشتغلين بذلك « دى ساسى » (١٧٥٨ - ١٨٣٨) .

* *

● **مذاهب الرهبنة :**

أحسَّ كبار المشتغلين بالتربية الدينية المسيحية بأن فيما ورثوه من تعاليم المسيحية انحرافات فى الفكر والعقيدة وأخرى فى أسلوب العمل ، أو فى الشكل الواجب مسامتته للمسيحى الراغب فى ملكوت الله ، وأشهر هذه المذاهب :

١ - **البندكتيون** : وهم يتبعون أقدم حركة نهضت لاستصلاح المسيحية وتصحيح العقيدة والتقويم الروحى .

ومؤسس هذه الفرقة هو القديس « بنديكتوس » ومقرها الأول « جبل كاسينو » ، وكان هذا سنة ٥٢٩ م .

وقد تناولنا ذكر بعض رجالهم مثل « توماس الأكوينى » ، و« ميخائيل سكوت » الاسكتلندى ، و« جراردى كريمون » و« روف أوف تشتر » الصقلى ، و« قسطنطين » الإغريقى المتوفى عام ١٠٨٧م ، وقد ولد فى قرطاجنة بتونس وترهب فى دير « مونتى كاسينو » ، و« هرمان الدلماطلى » فى سنة ١١٧٢م ، أسقف « أستورجه » ، و« أومونجو نثالث » المتوفى سنة ١١٨١ م ، نائب أسقف « شقوبية » من أشهر مترجمى « طليطلة » .

* *

٢ - **الفرنسيسكان (أى الإخوة الأصغرون) :**

وقد أسس رهبانيتهم القديس « فرنسيس الأسيزى » عام ١٢٠٩م ، وأجلَّ ما يهتمون به الأراضى المقدسة فإليها مبكاهم وتطلُّعهم ، وهم نشطون ، أقاموا لهم مطبعة عربية فى « طنجة » ، وشادوا الكلية الإكليريكية فى الجيزة بالقاهرة عام ١٩٣٦ منتهزين فرصة التسامح والدعاية الموجهة لخلق جو صداقة بين

المصريين والإنجليز ، وهم الصورة المجسمة للمسيحية ، وذلك فيما سُمِّى بمعاهدة الصداقة (معاهدة سنة ١٩٣٦) ، ومن أساتذة هذه الكلية الأب « مانفريدى » الإيطالى المولود سنة ١٩٤٠ وهو خريج المعهد البابوى للقديس « أنطونيوس » ، وهو أستاذ الحق القانونى بالكلية .

ومن أشهر رجالهم : الأب « سوميلى الإيطالى » (١٨٦٤ - ١٩٣٩) - والأب « روهمر » ، والأب « ليمنس » (١٨٦٤ - ١٩٢٩) ، والأب « جيرولو مجولوفيتش » (١٨٦٥- ١٩٤١) ، وهو من مواليد القسطنطينية ، وكانت وفاته بإيطاليا ، والأب « كافالون » (١٨٨١ - ١٩٤٢) ، والأب « أوليجر » الألمانى (١٨٧٥ - ١٩٥١) ، والأب « سالير » المولود بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٥ ، و« الأب جيجاى » دكتور فى اللاهوت ، والأب « أوبيشينى » المتوفى سنة ١٦٣٨ وكان رئيس دير الفرنسيسكان بالقدس .

* *

٣ - الكبوشيون :

وقد انشعب عن الفرنسيسكان رهبنة الآباء الكبوشيين ، أسسها « ماتيو دا باشيو » وقد زاولت هذه الرهبنة نشاطها فى الشرق منذ القرن السابع عشر الميلادى ، وشيَّدوا فيه الأديرة والمدارس والمؤسسات الخيرية (صيداً عام ١٦٢٥ ، والقاهرة عام ١٦٢٦ ، وحلب وبيروت وحصرون وبغداد عام ١٦٢٨، وطرابلس عام ١٦٢٩ ، ودمشق عام ١٦٣٧ ، وعبيَّة عام ١٦٨٦ ، وغزير عام ١٦٩٥) [١] .

* *

٤ - الدومينيكون (الإخوة الوعاظ) :

وقد أسس رهبانيتهم القديس « دومينيكوس » عام ١٢١٦ لدحض البدع عن طريق العلم ، ويبدو أن انتفاضة المسيحية عسكرياً بطرد المسلمين عن الأندلس ،

---

(١) المستشرقون ص ١٠٥١ الطبعة الثالثة .

وروحياً بتطهير المسيحية من الخرافات والبدع ، وعلمياً بترجمة آثار الحرب العلمية ووضعها موضع الإفادة ؛ كان شيئاً واحداً ذا اتجاهات يمكن أن تسمى استصلاح المسيحية حيناً ، والنهضة الأوروبية حيناً آخر ، والحروب الصليبية آونة أخرى .

وقد وفد الدومينيكيون على الشرق كالكبوشيين والكرمليين واليسوعيين منذ القرن السابع عشر مع الحركة الاستعمارية لدعمها ، ولقد أسس الدومينيكيون فى الموصل مطبعة عربية نشرت التوراة ، ومن أشهر مستشرقيهم الفرنسيين الأب « چوسين » الفرنسى المولود سنة ١٨١٧ ، والأب « تيرى » ، والأب « سافينياك » (١٨٧٤ - ١٩٥١) والأب « چاك چومييه » من مواليد ١٩١٤ ، والأب « بوركاى » المولود سنة ١٩١٧ ، والأب « بوللو » خريج كلية الهندسة من باريس عام ١٩٣١

* *

٥ - الآباء الكرمليون :

تأسست رهبانيتهم فى القرن الثانى عشر بفلسطين ، وانتقلت إلى أوروبا ، ولكن عاد رهبانهم إلى الشرق فى القرن السابع عشر مع الحملات الاستعمارية ، ولم تصاحب الجيوش لا هى ولا أى نشاط رهبنى لتكون بعيداً عن الظنة .

* *

٦ - الآباء اليسوعيون :

أسس رهبانيتهم القديس « أغناطيوس أيولا » عام ١٥٤٠ وقدموا الشرق منذ القرن السابع عشر ، ومن أشهر مستشرقيهم - عدا من سبق ذكرهم - من فرنسا الأب « دى كوبيه » (١٨٣٦) والأب « أبوجى » (١٨١٩ - ١٨٩٥) والأب « بيلو » (١٨٢٢ - ١٩٠٤) والأب « جوليان » (١٨٢٧ - ١٩١١) والأب « روز » (١٨٣٤ - ١٨٩٦) والأب « كوش » (١٨١٨ - ١٨٩٥) والأب « مارثن » (١٨٢٥ - ١٨٨٠) وغيرهم كثيرون من جنسيات شتَّى ، كالأب « كايروت » (١٥٨٨ - ١٦٥٣) ، والأب « بلن » (١٨٥٣ - ١٨٩١) وقد توفى بالقاهرة ، والأب « بوليج » ولد فى « بروسيا » عام ١٧٢١ وتوفى بـ « روما » سنة ١٨٩٥ ،

والأب « هورى » (١٨٢٤ - ١٨٩٧) توفى فى رحلة ، والأب « بوثييه » (١٨٧١ - ١٩١٦) ، والأب « جيسموندى » (١٨٥٠ - ١٩٠٤) أستاذ اللغات السامية فى الجامعة الغريفورية ، والأب « فرنييه » (١٨٣٨ - ١٩١٧) المولود فى باسافان فى بيروت ، والأب « لويس رونزفال » (١٨٧١ - ١٩١٨) ولد بتركيا وتوفى فى روما ، والأب « بولوموا » (١٨٥٦ - ١٩٢٦) أستاذ النبات بكلية الطب فى لبنان ، والأب « ديران » (١٨٥٨ - ١٩٢٨) وقد ولد فى « شانمرل » وتوفى فى « ليون » ، والأب « بوير » المولود سنة ١٨٦٩ ، والأب « جوون » من مواليد عام ١٨٦٩ ، والأب « ليفينك » (١٨٦٨ - ١٩٣٨) من « مارسيليا » ، والأب « كولنجيت » (١٨٦٠ - ١٩٤٣) رئيس لجنة السلم الموسيقى فى مؤتمر الموسيقى العربية الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٣٢ وقد توفى فى « كيفيا » بلبنان ، والأب « جرفانيون » (١٨٧٧ - ١٩٤٨) ، والأب « بوفييه لابيير » (١٨٧٣ - ١٩٥٠) ، والأب « بولس موترد » المولود سنة ١٨٩٢ ، والأب « هنرى شارل » المولود عام ١٩٠٠ ، والأب « فليش » المولود سنة ١٩٠٤ ، والأب « دالفرنى » المولود سنة ١٩٠٧

ولكل رهبنة من هذه الرهبنات صلاحيتها لكافة أعمال الاستشراق والتبشير ، وخدمة الاستعمار الغربى ومصالحه السياسية والتجارية .

ويلاحظ أن المسلمين لم يمنعوا دخولهم إلى بلاد الإسلام ثقة فى قوة تعاليم الدين الحنيف ، واعتماداً على النص الكريم : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾ (١) .

فأين هذا من موقف هيئة الأُمم المتحدة فى عدوان الصرب على البوسنة ثم أسر قوى الأُمم المتحدة المسلمين ، وترك قوى الأمم المتحدة نفسها الذين ينتمون إلى غير الإسلام من الأوروبيين والأمريكان ؟!

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٦

العلاقة بين الاستعمار والتبشير والاستشراق

لقد مضى الاستشراق والغزو الاستعمارى فى طريق واحدة ، المستعمر يغزو البلاد ، والمستشرقون يغزون الفكر والتراث الإسلامى .

الاستعمار يحتاج الدعائم الفكرية والروحية التى تمهد له الطريق ، وتثبت له حكمه ، ودلائل ذلك كثيرة نعطى منها بعض الملامح لكيلا تكون هنالك شبهة فى أن الاستعمار الغربى والتبشير والاستشراق فصائل جيش غزاة الغرب للشرق .

● فى المؤتمرات :

يشترك رجال السياسة فى المؤتمرات التبشيرية كما يشترك قادة التبشير فى المؤتمرات الاستعمارية السياسية .

ففى المؤتمر الاستعمارى الألمانى كان من أعضائه الأساسيين « م . ك . إكسنفلد » صاحب التقرير الخاص بالجانب الإسلامى فى المؤتمر ، وهو أيضاً سكرتير جمعية التبشير فى « برلين » ، وقد جاء فى مقاله :

« امتاز المؤتمر الاستعمارى بميزتين :

الأولى : أنه بحث فى الشئون الصناعية والاقتصادية .

الثانية : إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية فى سياسة الاستعمار الألمانى ، واستشهد بقول « شنكال » رئيس غرفة التجارة فى « همبرج » : إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة ، لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة

الاقتصادية ، وحض الساميين على تقدير عمل المبشرين واحلاله محله اللائق به » .

وعندما أخذ المؤتمر الاستعمارى يبحث الموضوع الرابع فى جدول الأعمال - الخاص بالمسألة الإسلامية - أفاض المبشرون حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعمارى يحول إلى مؤتمر تبشير .

*

*** العلمانية :**

وجاء فى حديث « إكسنفلد » : « إن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، ونحن نعترف بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نمواً وارتقاءً ، ولكن هذا أقل خطراً مما لو تُرِكوا إلى مدارس إسلامية » .

*

*** النزعة الوطنية :**

استصرخ « إكسنفلد » المؤتمر لشن الغارة على العالَم الإسلامى قائلاً : « إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم » .

واتفقت كلمة المؤتمرين على ضرورة المحافظة على خطة الحياد فى الشئون الدينية فى المستعمرات مع الاستعانة بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية فى التوصل إلى مقصد الاستعمار ، ولا بأس فى عملية التربية بالاستعانة بالآداب الإسلامية ، وفى الوقت ذاته تبث مبادئ المدنية ، وتنشأ مراكز ثابتة الأركان لدين النصرانية ، مع عمل الحكومات على عرقلة المد الإسلامى .

* *

● الإحصاء للمسلمين :

واهتم المؤتمر بفحص إحصاء عدد السكان المسلمين فى كل بلاد العالم ، وقد جاء فى كتاب « الهند وحياتها وأفكارها » للدكتور « چونس » أن عدد المسلمين ازداد فى السنوات العشر (الأولى من القرن العشرين) ٩١ فى الألف ، بينما كانت زيادة عدد السكان بوجه عام هى ١٩ فى الألف فقط ، وجاء فى هذه الدراسة أنه لا تخلو بلدة فى آسيا وإفريقيا من مسلمين ولو أقلية ، إلا أن هذه الأقلية تكون فى نمو مستمر وسريع .

وفى مؤتمر « لكنو » الذى انعقد فى الهند فى (٢١ يناير ١٩١١) وفى مدرسة « ايزابلا ثوربون » للبنات ، وظل منعقداً إلى (٢٩ يناير سنة ١٩١١) قال القسيس « چون تكل » : إن الإسلام آخذ فى الازدياد وإن تكن المجهودات التى تبذل فى سبيل انتشاره تكاد تكون فى حكم العدم ، ثم تساءل عن أسباب نمو المسلمين ، وأجاب بأنه لا يمكن أن يُنسب هذا النمو إلى تعدد الزوجات ، لأن المتزوجين بأكثر من واحدة من مسلمى « البنغال » لا يتجاوزون ٢٩ ٪ فقط ، وقد أعلن المؤتمر فرحه بالانقلابات التى حصلت فى فارس والدولة العثمانية حيث أصبح السلطان عبد الحميد سجيناً فى « سلانيك » ، وأصبح عدد المسلمين الذين تحت سلطات دول الغرب - انجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا - يفوق عدد المسلمين الخاضعين للسلطنة العثمانية (قبل توزع ممتلكات الرجل المريض) ، وقال المؤتمرون : وهذا يزيد مسئولية ملوك النصارى فى مهمة تنصير العالم الإسلامى .

* *

● الخوض فى السياسة :

وفى مؤتمر « لكنو » بالهند عند المبحث الرابع من جدول الأعمال ، وهو « الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية » قال القسيس « زويمر » : كان مؤتمر القاهرة (سنة ١٩٠٦) فاتحة عصر جديد ، إذ استنجد

بالكنائس واستصرخها ، فخاضت الجرائد والمجلات فى مسألة الانقلاب العثمانى ، والانقلاب الفارسى ، والنهضة المصرية ، وصيحة « مصر للمصرين » ، وحركة الجامعة الإسلامية ومكانها من الحال السياسية الحاضرة ، وكل هذه الكتابات التى نشرتها الصحف أبانت عما يجب أن نعمله فى العالم الإسلامى .

كما صُنِّفت الكتب الكثيرة التى يُراد بها تعريفنا ببلاد الإسلام وأحوال المسلمين مثل كتاب الشرق الأدنى والشرق الأقصى (٤٥٠٠٠ر) نسخة ، وأخواتنا المسلمات ، والعالم الإسلامى ، ودين الإسلام ، والشعائر الدينية الإسلامية ، والإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى ، وصليبو القرن العشرين ، ومصر الحرب الصليبية ، والإسلام فى الصين .

وتحدث القسيس « نلسن » عن الجامعة الإسلامية فى السلطنة العثمانية (قبل سقوطها) فقال : « إن الألوف من مسلمى الأرض يتجهون كل سنة إلى مكة ويشربون من ماء زمزم ، إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجى ، ووجود الاتحاد الذى يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية يعمل لها المبشرون النصارى وحكوماتهم ألف حساب ، فإنه ليس فى المسلمين العنصر اللازم لجمع شمل السُنِّيين والشيعة ، ويضم الأتراك والفُرس والهنود إلى العرب ، فالجامعة الإسلامية بحالتها الراهنة أمرٌ وهمى لا ثمرة له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف .

وقال القسيس « ورنز » عن الجامعة الإسلامية فى إفريقيا : إن مدينة مكة والطرق الصوفية هى أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، والنفرة من كل شىء غير إسلامى ، وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية ،غير أن انتشار الإسلام يقوم بعمليات عفوية ، فإن الاستعمار إذ يسلب عن المستعمرات السلطة الإسلامية السياسية فإنه يزيد الإسلام نفوذاً فيها ، فالمستعمرون مضطرون إلى استخدام المسلمين فى النقل والحراسة والزراعة ، فيحتك هؤلاء بغير المسلمين فإذا بهم يدخلون الإسلام .

وقال القس « سيمون » عن حركة الجامعة الإسلامية فى « ماليزيا » : إنها ترتبط بمكة قبلةً وحجاً ، كما يدعمها الحقد الذى يكنونه ضد الأوروبيين الغزاة ، مما يستوجب إشاعة روح المحبة بينهم .

وتحدث القسيس « كانون سل » فقال : إن الدراويش - وبخاصة الطريقة التيجانية التى وقفت مع أمير « سكوتو » ضد الإنجليز - بالإضافة إلى نفوذ المسلمين الاقتصادى والتجارى أزال الهوة بينهم وبين الزنوج .

وقالت مجلة العالم الإسلامى الفرنسية الى يصدرها المستشرقون المبشرون : لقد كان للمبشرين القدح المعلى فى توسيع نطاق المستعمرات الإنجليزية بأواسط إفريقيا وغربها ، لأن المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين فى ارتياد البلاد وتأسيس مراكز التبشير ، وتوطيد النفوذ الإنجليزى (١) .

وقالت : إن الدكتور « كريف » أول من دخل إفريقيا الشرقية للتبشير ، وتبعه آخرون وامتد نشاطهم إلى إفريقيا الألمانية وأوغندا ، وأنشأوا مئات المدارس يؤمها عشرات الألوف من الطُلاب ، ومع هذا فالإسلام هو الغالب حتى قال السير « بارسى خيروار » حاكم إفريقيا الشرقية فى المؤتمر الذى أقامه المبشرون على ظهر الباخرة « غالف » فى البحر الأحمر : إنه يجب على الحكومة وعلى المبشرين أن يشتركوا فى العمل ضد الإسلام .

* *

● السياسة والعملاء والشركات الأجنبية :

وفى « أوغندا » أعلن الملك « متيسة » ارتياحه إلى اقتباس التربية الأوروبية وذلك عام ١٨٧٥ فتبرع اثنان بمبلغ (١٢٥ ألف) فرنك لجمعية التبشير ، وتحركت الإرسالية إلى هناك عام ١٨٧٦ ، ولكنها هوجمت فى الطريق وفقدت بعض المبشرين ، وتبعتها إرسالية تبشير كاثوليكية ، وتعاونت الإرساليتان ، وتوفى « متيسة » وخلفه الملك « موانغا » الذى كان لا يستريح تماماً إلى المبشرين ، ومع هذا عمل المسلمون على

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٥١ - ٧٧

خلعه وطرد المبشرين عامة سنة ١٨٨٨ ، وبعد عام استطاعت المسيحية إعادته إلى منصبه ، وفى عام سنة ١٨٩٠ رفع العلم البريطانى لأول مرة على « شركة إفريقيا الشرقية البريطانية » ، ثم تبعت ذلك الحماية على البلاد بعد أربع سنوات ، وهكذا الشركات الأجنبية والتبشير والمستشرقون فصائل الاحتلال والاستعمار ، وما فُعل بإفريقيا فعلته شركة الهند الشرقية الإنجليزية فى الهند حتى كان الاحتلال البريطانى .

وفى عام ١٨٩٦ بارح « موانغا » بلاده ليخلفه ابنه « شوا » عليها ، وتعمَّد نصرانياً وتسمى « داود » ، ودفع ثمن العمالة أو قبضه ، فالذى حدث أنه استقر له ملكه السياسى ولكن لحساب أعداء البلاد ، وأنشىء حتى عام ١٩١٠ (١٠١٠) معاهد ومحطات للتبشير و(١٤٧) مدرسة .

* *

● التصريح بمساعدة السلطات :

وفى تقرير لجمعية التبشير الكنسية الإنجليزية عن أعمالها فى الهند حتى عام ١٩١٠ تقول : إن لها ألفى محطة تبشير وألف مدرسة ، ومئات الإرساليات فضلاً عن مدرسة عاليه يتردد إليها المسلمون ، ويرجع نجاح نشاطها فى هذه البلاد لما تلقاه من المساعدة والمجاملة من المستر « لورنس » أو السير « منفوماري » ، أو الكولونيل « مارتين » عندما تقلدوا زمام الأمور فى ولاية « البنجاب » حتى اتسع نطاق التبشير من حيث التدريس والتطبيب ونشر المطبوعات والمدارس الصناعية وترجمة الكتب التبشيرية إلى اللُّغة الأوردية والسندية ، وتقام المعارض برسم دخول لدعم التبشير تحت رعاية الملوك والرؤساء كمعرض « بوسطن » التبشيرى ، فقد افتتحه المستر « تفت » رئيس الجمهورية فى إبريل ١٩١١

* *

● التبشير وقيام إسرائيل :

قالت مجلة العالم الإسلامى الفرنسية عن التبشير فى مطالع القرن العشرين : « ومن جملة المبادئ والأصول التى يروّجها مبشرو الجمعية التبشيرية الأمريكية

التى يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٨ عندما يهبطون إحدى المدن لأجل التبشير ، أنهم يتركون الحرية التامة للذين يدخلون فى مذهبهم فى تأسيس وتشكيل كنائس خاصة يديرها الوطنيون مستقلين ، غير أن الجمعية تهتم بمزيد من التبشير فى البلاد العثمانية وبخاصة سوريا وفلسطين ، عاملين على الاستيطان لأن هذه الجمعية التبشيرية الأمريكية لا ترغب فى ترك البلاد التى كانت مهبطاً للتوراة تحت سيطرة الإسلام .

وبالرغم من أن « هرتزل » زعيم صهيونى فإنه أفاض فى مزايا ومحاسن السكة الحديدية التى اقترح أن تربط « القاهرة » ببلاد « الكاب » ثم قال : غير أن هذا الخط الحديدى يجعل القاهرة محجاً للمسلمين المنتشرين من جنوب إفريقيا إلى شمالها ، فيجب نشر التبشير حينئذ من « الكاب » إلى « القاهرة » .

ثم يقول : إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب إفريقيا ، طبقاً لقرار مؤتمر التبشير العام ، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل إفريقيا .

ولقد قامت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك فى الماضى من الإغداق على المستشرقين وتقديم المنح والمعونات إليهم ، وأقرب مثال لذلك ما قدمته مؤسسة « فورد » وغيرها للدكتور « ميتشيل » فى رسالته للدكتوراة عن « الإخوان المسلمين » ، وكان لليهود دورهم فى الاستشراق بمعوناتهم المادية ، وبأشخاصهم من أمثال « جولدسيهر » ، و « بندلى جوزى » ، و« يورى إيفانوف » . . . وغيرهم ، وهدفهم الآن واضح وهوالحيلولة دون اجتماع المسلمين فى وحدة تقاوم اليهودية العالمية أو دولتهم الباغية « إسرائيل » ، أو حتى مجرد إعادة المطرودين من « فلسطين » إلى أرضهم ليعيشوا مع النصارى واليهود الذين كانوا فيها قبل طردهم من بيوتهم وبيَّاراتهم .

* *

● **تخريب إفريقيا :**

إن الغربى يرى أن الجنس الأسود ليس له شرف الانتماء للمسيحية بنفس الدرجة التى للجنس الأبيض ، لأنه لا يتوقع لقلب رجل إفريقى أن تنفذ فيه المسيحية بعمق ، ومن هذا القبيل ما يروى عن « رهربك » أنه قال : « إنه يتعذر على الوطن الشرقى أن يتأثر بنفوذ المسيحية ، فهى عقيدة خاصة بالأجناس الراقية ، فمن دخل منهم فيها فيجب اعتباره فى بادئ الأمر داخلاً تحت حماية مسيحية ، وليس مسيحياً ، ولا يزال المسيحيون السود يُصَلُّون فى كنائس خاصة بهم ، ولا يقبلهم الأوربيون البيض فى كنائسهم

ورفض المستر « غردنر » السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين ذلك القول ، ودعا إلى العمل السريع لتنصير جنوب إفريقيا ، وأشار إلى المجلة التى تصدرها جمعية النهضة السياسية الإفريقية التى كان يرأسها فى مطلع هذا القرن الدكتور عبد الرحمن ، وكانت تحض المواطنين على النهوض باقتصاد البلاد ، وعلى السعى للاستقلال والتحرر فقال : « إنها تحمل فى بعض الأوقات على الكنيسة الهولندية وعلى الحكومة ، وقد قالت منذ مدة : لقد أزف الوقت الذى يجدر بالوطنيين أن يقولوا فيه للجنس الأبيض : إن الدين المسيحى الذى تفتخرون به يباين وينافى تعاليم المسيح » .

وقال : « إن هذه الجريدة تنفخ روح النشاط بين السود ، وتحضهم على اقتناء العقارات والاعتماد على أنفسهم ، فعلى المبشرين أن يحولوا أنظارهم ، ويُخمدوا هذه الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية . إن المال والحرية هما وقود حركة التحرير الذى تعمل السياسة على تجنيد المبشرين لإبعاد المسلمين عنهما لدرجة أنه يوجد عدد ضخم من المبشرين فى جنوب إفريقيا بنسبة (مبشر لكل ألف وثلاثمائة مواطن) ، بينما حظّ المبشر فى مناطق أخرى يبلغ (٢١٫٤٠٠) وطنى [١] .

* *

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٩٣

● **القضاء على الخلافة الإسلامية :**

عقب فتنة الأرمن عام ١٨٩٥ تأسست جمعية إسعافات الأرمن ثم تحولت إلى جمعية التبشير الألمانية ، وكان مؤسسها ورئيسها هو القسيس « لبسيوس » الذى جعل من فتنة الأرمن « قميص عثمان » يطوف به بلاد الأناضول وسوريا لتشويه صورة حكام تركيا ونظام الخلافة ، ومما قاله فى تقرير عن أعمال إرسالية التبشير الألمانية : « إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا وإفريقيا ، بل ستكون فى المراكز التى يستمد الإسلام منها قوته وينتشر ، سواء أكان فى إفريقيا أم فى آسيا ، وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجوهها نحو الآستانة عاصمة الخلافة ، فإن كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها ، ويجب أن يكون جُلُّ ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة ، وهى قلب العالم الإسلامى » (٢) .

هذه معالم للترابط بين التبشير والاستعمار ، ولو كان الغرض من التبشير خدمة المسيحية وتعاليمها لكان الأولى بذلك هم الأوروبيون والأمريكيون ، حيث الإلحاد والعلمانية والجرائم والتحلل الخُلُقى ، والإدمان الكحولى واستعمال المخدرات ، ولكن المبشرين تركوا كل ذلك وراءهم ظهرياً ، وأتوا إلى العالم الإسلامى لتخريبه باسم السيد المسيح ، والسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام برىء مما يصنعون .

* *

(١) المرجع السابق ص ٨٩

● الإرسالية العلمية المغربية :

وتكونت فى فرنسا جمعية اسمها « الإرسالية العلمية المغربية » فى القرن الرابع عشر الهجرى (١٨٨٩-١٨٩٠) ، وأعضاء الجمعية مستشرقون درسوا الكتب الإسلامية ، والعادات الشرقية ، واللغة العربية وغيرها من لغات المسلمين ، خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية ، وفى أوائل القرن العشرين الميلادى وحوالى عام ١٣٢٥ هـ أصدرت هذه الجمعية فى باريس مجلة شهرية مصورة باسم « مجلة العالم الإسلامى » ، ويرأس تحريرها المستشرق « ل . شاتليه » أستاذ المسائل الاجتماعية الإسلامية فى إحدى الجامعات الفرنسية ، ومن محرريها المسيو « لويس ماسينيون » ، واختطت المجلة لنفسها تكوين شعبية لها بصبغ المقالات فيها بالصبغة العلمية ، وإظهار أن الجانب السياسى ليس غرضاً للمجلة إلا بالدرجة الثانية .

وقد ظلت تحافظ على الطابع العلمى ، ونشر « شاتليه » بها بحثاً علمياً عن « المركز الاقتصادى للعالم الإسلامى » ، ترجمته إلى العربية مجلة « المؤيد » بمصر ، فلما تم لفرنسا احتلال المغرب أولاً ثم دارت فاس فى فلكها ، وأصبحت طرابلس مستعمرة من المستعمرات ، كشرت المجلة عن أنيابها وأحقادها ، فنشر بحثاً مطولاً عن « فتح العالم الإسلامى » الذى نشر باسم « الغارة على العالَم الإسلامى » ، ويتناول إرساليات التبشير البروتستانية ، ثم نشرت تقارير عدة مؤتمرات تبشيرية ، منها :

١ - مؤتمر التبشير الأول فى القاهرة (مصر) سنة ١٩٠٦ فى ١٩٠٦/٤/٤ بمنزل عرابى باشا فى باب اللوق برئاسة « زويمر » .

٢ - مؤتمر التبشير الثانى فى أدنبرج (إنجلترا) سنة ١٩١٠ ، وفى هذين المؤتمرين توثقت الروابط بين إرساليات ألمانيا وفرنسا .

٣ - مؤتمر التبشير الثالث فى لكنو (الهند) سنة ١٩١٣

ثم تناولت التنظيم المادى لإرساليات التبشير ، ومقاصد المبشرين وآمالهم فى المستقبل ، وأدبيات إرساليات التبشير ، والنتائج والتوصيات .

وكان من أهمها :

١ - ترتيب العقلية فى بلاد المسلمين لتكون غربية مسيحية فى منهجها الفكرى ، وبهذا ينهدم الفكر الإسلامى وسائل وغايات ، فبنشر اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية ، يتحكك الإسلام بصحف أوروبا ، وتتمهد السبل أمام حضارة مادية للمسلمين ، وتقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها ، ولكن اعتناق المسلمين للمسيحية فأمر خارج على الإمكان لأن المسلم لا تجذبه العلوم العصرية إلى الاعتقادات الدينية .

وبتنازل جمهور العالَم الإسلامى عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية ، مع الضعف التدريجى فى الاعتقاد الدينى ينشأ الاضمحلال المؤدى إلى انحلال الروح الدينية من أساسها ، لا إلى نشأتها بشكل آخر ، ولذا يوصى بكثرة المدارس التبشيرية ، وادخال التعليم الغربى بلغاته ومنطقه إلى كل عقول الشرقيين فى مدارسهم وصحافتهم سواء الرجال والإناث .

٢ - كما أوصى المؤتمرون بإنشاء فروع لجمعيات التبشير تقوم على إعداد متطوعين للتبشير بالمسيحية فى العالَم ، فإن لغة المتطوع وقلبه غير لغة المرتزق وقلبه ، وكان البارون « رويتز » قد دعا فى عام ١٦٦٤ إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحى ، ويدرس فيها الطُلاب اللُغات الشرقية التى سيستخدمونها فى التبشير .

٣ - هناك ارتياح إلى أعمال جمعية الاتحاد والترقى ثم ما بذله كمال أتاتورك ، واهتمامه بالتقسيم السياسى الذى طرأ على البلاد الإسلامية ، ويعتقد المؤتمرون أن هذا سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية إذ من المحقق أن الإسلام سيضمحل من الوجهة السياسية ، وسوف لا يمضى غير زمن قصير حتى يكون الإسلام فى حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية ، وعلى هذا الخط كل ما يوسع هوة التقسيم السياسى كتشجيع القوميات .

٤ - آسيا وإفريقيا أهم الأسواق البشرية ، والسيطرة عليها يقتضى ألا تُظهر المذاهب المسيحية ما بينها من فرقة فإن ذلك يجعل الباحثين لا يترددون فى

الحكم على مذاهب النصرانية بأنها فقدت التوازن بالرغم من الخدمات التى تأتى بها الحضارة الأوروبية .

٥ - قال « زويمر » للدكتور « لبسيوس » : إن المسلمين مهما يكونوا موحدين ، فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين .

٦ - يوصى المؤتمر بأن يتحبب المبشرون إلى السامعين فى الشرق بالعزف على الموسيقى التى يعشقها الشرقيون ، ويهتموا بالفانوس السحرى فيما يعرضونه (وذلك قبل السينما والتلفاز والفيديو) ، وأن يلقى المبشر حديثه وهو جالس بصوت رخيم خال من الكلمات الأجنبية ، وعلى قدر المستوى العقلى للسامعين ، وتُختار الموضوعات الاجتماعية البحتة قبل الدخول فى العقائد ، وألا يعرض فكر الإنجيل إلا مقارناً بالقرآن ليوجد تقارب وأُلفة فكرية لدى السامع ، وامتدح منهج مجلة المشرق والمغرب التى تصدرها جمعية الشبان المسيحية فى مصر لافتتاحها باباً غير دينى يناقش قضايا اجتماعية وتاريخية ، كما امتدح اشتراك الأقباط فى دفع تبرعات للشبان المسلمين كسباً لقلوبهم .

٧ - الإكثار من الإرساليات الطبية ومستشفياتها على جميع المستويات ، وتخفيف اللَّهجة فى المجادلات الدينية .

٨ - هز الثقة فى الأزهر بإيجاد مدارس لتدريس اللُّغة العربية بأيسر وأفضل السبل ، لتنصرف عنه البلاد العربية والإسلامية .

٩ - تيسير الكتاب بتأسيس مكتبات لبيع الكتب بأثمان قليلة يقوم بالبيع العقائديون الذين يستطيعون فتح حوار فى أثناء البيع لكسب ثقة عدد من المسلمين ، وتعرف مشاعرهم وميولهم ، وإظهار العطف على أمانيهم القومية والسياسية .

١٠ - نشر بحوث بأثمان زهيدة فى كل من : « أسماء وألقاب المسيح التى فى الأناجيل - طبيعة الخطيئة الأصلية - ضرورة الغفران - الجنَّة وكيفية الحصول عليها - الروح القدس وأعماله - عقيدة سر التجسّد - الإنسان فرد اجتماعى وخالقه ليس كذلك -الإله الاجتماعى يشمل الثالوث - الشيطان وكيفية الخلاص منه » .

١١ - يُستعان بالمرأة فى التبشير من خلال العيادات الطبية والمدراس التبشيرية ، أو المدراس العامة حين يمكن العمل بها ومن خلال زيارة قرى الفلاحين والزيارات المنزلية لتقديم الخدمات الاجتماعية ، وإنشاء مدارس للبنات يُقرأ فيها الإنجيل على الجميع ويُعطى للمسلمات حرية عدم الاستماع لقراءة الإنجيل ، ففى الغالب أن إعلان ذلك ستكون نتيجته عكسية ، وهو سماح الآباء للبنات بالسماع ، على أن يُعَد للتبشير كفاءات من الفتيات والنساء لهذا الدور إعداداً تربوياً خاصاً ، ويكون من المتطوعات وليس المحترفات أو مجرد تخصص فنى ، وفى مؤتمر « لكنو » طلب المجتمعون تأسيس مدرسة بمصر من هذا النوع على وجه السرعة .

١٢ - لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل لأنهما يُبعدان المحبة ذات الأثر الكبير على قلوب الغير ، والمحبة والمجاملة هى آلة المبشر ، لأن طريق الاعتقاد هو قلب الإنسان ، والمبشر أحوج إلى الصفات الخُلُقية والاستقامة التامة منه إلى المزايا العقلية ، والموازنة بين الأخلاق فى الأمم المسيحية وفى المسيحيين ستجعل الرجحان للنصرانية على الإسلام .

١٣ - المدرسة هى المبشر الأول : وقد جاء فى تقرير اللَّجنة الثالثة لمؤتمر « أدنبرج » التبشيرى ما نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم التى أسسها الأوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوروبا جميعها .

١٤ - نشر الأناجيل بلغة مبسطة ، ومن هنا ترجمته إلى عشر لغات إسلامية من لغات المسلمين فى روسيا .

١٥ - تطوير أسلوب التبشير بالخدمات الاجتماعية ، وكأنهم يقولون : « اطعم الفم تستح العين » أو يرددون قول صفى الدين الحِلى :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحســـان

وقد ألَّف القس « زويمر » كتابه « مجد المحال » تناول فى القسم الأول بيان البلاد الإسلامية الخالية من المبشرين أو التى بها عدد يحتاج المؤازرة ، أما القسم الثانى من الكتاب فخصصه لدراسة الأمور الاجتماعية التى تتعلق بالأعمال التبشيرية فقال : « إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة (والآن مائتين) كانت لاهوتية دينية محضة ، أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية ، وكان يُنظر فى سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حرباً صليبية ترمى إلى التنصير فقط ، والآن تغيرت المفاهيم وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعى ، وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية » .

ثم أشار إلى المزايا والسجايا العقلية التى يجب على المبشرين أن يتحلوا بها ، ويتذرعوا بها لأغراضهم .

وذكر بعد ذلك أسباب الانحطاط الاقتصادى (فى مطلع هذا القرن) فى شبه جزيرة العرب ومنغوليا وأفغانستان ، وعن الغارات التى كان يشتعل لظاها بين القبائل العربية فى الصومال وإفريقيا الوسطى الوثنية ، وعن الفقر المدقع المنتشر فى بعض الجهات ، وقال : « إن تمادى الاعتقاد بالتمائم وتأثيرها يؤخر أحوال الشعوب الإسلامية ، ويزيدها شقاء » .

١٦ - التبشير قبل التمدين : ثم حذَّر القسيس « زويمر » : فى خاتمة كتابه قائلاً : « إن الخطة الفاسدة الخطرة التى تقضى ببث مبادئ المدنية مباشرة ، ثم نشر المسيحية ثانياً ، خطة عقيمة ، لا فائدة تُرجى منها ؛ لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية لا تُحمد مغبته ، بل تنجم عنه مساوئ كثيرة تفوق المساوئ التى كانت قبلاً » [1] . . وكأن زويمر يقول : « لا صدقة على شعب إلا أن يدفع الثمن ويُـقَـبِّل يد البابا » .

* * *

(١) الغارة على العالم الإسلامى ، ص ٩٢

التبشير فى أندونيسيا

فى ظل الاستعمار الهولندى وبعده

ظاهرة التنصير فى أندونيسيا قديمة ، فهى منذ عام ١٥٠٠ م ، أى منذ غزا البرتغال جزر البهار « مالوكو » ، ثم قامت الكنائس كجزء من عمل حكومة الاستعمار فى الجزر الأندونيسية التى تضم مائة وثلاثين مليون مسلم أو يزيدون ، أى أكثر من ثُمُن العالَم الإسلامى ، فالحملات التنصيرية تستهدف العالَم الإسلامى قبل غيره ، ويستقطب اهتمامها وجود الفكرة الإسلامية فى صورتها الحية ، وتحاول السيطرة بالعلم والمال حتى أمكن نصارى أندونيسيا وهم لا يتجاوزون ١٠ ٪ [١] من احتلال معظم مناصب القيادة والسيطرة فى الجيش والوزارات المدنية ، ولذلك قرر مؤتمر المبشرين فى مدينة « مالانج » عام ١٩٦٧ أنهم يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين فى جزيرة « جاوة » البالغ عددها ٦٥ مليوناً خلال عشرين سنة تنتهى عام ١٩٨٧ ، وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا خلال خمسين سنة ، وأعدوا لذلك دور النشر الكبرى والمطابع المتطورة لطبع الإنجيل ، ثم الاندفاع بالتبشير حتى كان يجرى فى الشوارع كالسوس الذى ينخر عظام الطفل الصغير [٢] .

ويعود تاريخ استفحال النشاط التبشيرى للنصارى فى أندونيسيا إلى الفترة التى انفرد فيها « سوكارنو » بالسُلْطة المطلقة فى أوائل الستينيات ، وفى غيبة حزب « ماشومى » الذى حلَّه « سوكارنو » ، وهوالحزب الإسلامى العقائدى صاحب الأغلبية الإسلامية الساحقة ، والذى كانت له اليد الطولى فى مقاومة الاستعمار ودعم الاستقلال .

---

(١) ويقال ٣ ٪ (المسيحية الرابعة - لرءوف شلبى) ص ٧ - الطبعة الأولى .

(٢) الإسلام فى أرخبيل الملايو - المقدمة : (ع) ، الطبعة الأولى .

وكانت قمة التوتر بين المسلمين والمسيحيين عام ١٩٦٧ الذى عقد فيه مؤتمر ممثلى الأديان للتفاهم الذى لم يثمر تخفيف وطأة التبشير ، فإنه لا زالت الضغوط على أشدها ، فهى محاصرة من الشمال بحكومة الفيلبين المسيحية الكاثوليكية المتعصبة ، وفيها يتم إعداد القسس والمبشرين المخصصين للعمل فى أندونيسيا ، وفيها محطة إذاعة تبث إذاعة التبشير باللُّغة العربية .

أما فى جنوب أندونيسيا فهناك أستراليا - القارة البيضاء - المسيحية المترفة .

* وإحصائية (١٩٧٥) لمجلس كنائس أندونيسيا لطائفة البروتستانت توضح :

٩٨١٩ كنيسة ، ٣٨٩٧ قسيس ، ٨٥٠٤ مبشر متفرغ .

* وإحصائية (١٩٧٥) للمؤسسات التبشيرية الكاثوليكية فى أندونيسيا توضح :

٧٢٥٠ كنيسة ، ٢٦٣٠ قسيس ، ٥٣٩٣ مبشر متفرغ .

وقد قرر مجلس الكنائس العالمى والڤاتيكان الإسهام فى أعمال التنمية فى أندونيسيا تحت شعار : « من الكنيسة إلى المجتمع » ، وأنشأ « هيئة مجلس الكنائس » للمساهمة فى أعمال التنمية هناك لهذا الغرض .

وبالفعل قامت مؤسسات التبشير تساندها قوى جبارة وحسبك أن تعلم أن مؤسسات التبشير في منطقة « كاليمنتان » الغربية فقط تملك ٢٧ مطاراً تبشيرياً وأسطولاً من الطائرات العمودية ، وطائرات « التشنا » وأسطولاً من السفن وضع تحت تصرف المبشرين : يملك سفن « لوجوس » و« سانت فاتيما » و« ستيلا ماريز » و « أنبيسر » للانتقال بها بين المدن والقرى والثلاثة الآلاف جزيرة ، بينما الواحد منا - نحن دعاة الإسلام فى مصر - لا نجد حماراً نركبه فضلاً عن أجر طائرة عامة تقلُّنا ، وكم واللهِ رأيت مَن يركب عربات « الكارو » أو « أوتومبيل الحرث الزراعى » فى تنقلاته فى مصر .

وحسبك أن تعلم أن المبشرين يسيطرون على وسائل الإعلام ولديهم الإذاعات المحلية التبشيرية موزعة فى شتَّى أنحاء أندونيسيا ، ويملكون الصحف

اليومية الكبرى : صحيفة « الكومباس » ، و« سينار هارابان » إلى جانب دور النشر الكبرى والمطابع والمشافى .

وحسبك أن تعلم أن مؤسسة تبشيرية واحدة تقوم بتأمين الدواء إلى ١٨٠ مستشفى ، ١٢٩ مستوصف ولادة ، ٣٤٥ صيدلية ، ٤٥ عيادة متنقلة (كلينوموبيل) [١] .

* *

● أصول المخطط التبشيرى :

اتفقت كلمة المبشرين فى أندونيسيا على الوسائل الآتية :

١ - شراء الأراضى ذات الموقع الاستراتيجى لبناء الكنائس ودور الكتاب المقدس مهما بلغت الأسعار ، فمثلاً فى قرية « تشى جوجور » بالقرب من جبل « تشى رمى » كنيسة أمامها بيت صغير مخصص للدعوة الإسلامية ، فقامت الكنيسة بشرائه بثلاثة ملايين روبية لتحويله إلى مستوصف « زهور الشرق » .

٢ - إقراض الفلاحين ما يطلبونه مقابل إدخال أولادهم مدارس التبشير .

٣ - إنشاء المرافق العامة : أندية - مكتبات - قاعة لاستقطاب الشباب .

٤ - توزيع المعونات المادية والعينية مثل الكساء والأرز .

٥ - إنشاء دور الاحتفالات والتعاون فى معظم المدن والقرى .

ولقد صدر عن « الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع » كتاب فى عام ١٩٦٨ م (١٣٨٨ هـ) باسم « غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا » وهذا العنوان يمثل حقيقة عمل المستشرقين هناك وهو عمل قد يكون فى ثياب التدريس ، أو التوجيه الاقتصادى أو الخدمات والمعونات الإنسانية ، وباعتبار ما حدث فى أندونيسيا نموذجاً لأسلوب العمل ، وإن اختلف من حيث الكم باختلاف البلاد واختلاف الفرص المتاحة للمستشرقين والمبشرين فإننا نذكر لقطات من أندونيسيا .

---

(١) مجلة « الاعتصام » ذى الحجة ١٣٩٧ (نوفمبر ١٩٧٧) .

❊ فى « مكاسار » وهى عاصمة « سولايوس » الجنوبية :

قام القسيس « مانومباهان » وهو يعمل مدرساً بالمدرسة التجارية الحكومية بمهاجمة النبى محمد ﷺ أثناء الدرس ، وقذفه بأنه كان يعاشر نساءه سِفَاحاً ، زاعماً أنه لم يعقد نكاحه إلا على تسع ، وهو بهذا يتجاهل نظام التَّسرِّى الذى كان سائداً ومشروعاً حينذاك بالنسبة للسرارى ، ويكذب فى شأن بقية النساء الثابت عقده - صلى الله عليه وسلم - عليهن (١) .

❊

❊ فى « فلوريس » :

عقب الانقلاب الشيوعى الفاشل اتَّهم هؤلاء المستشرقون الذين يقومون بالتبشير فى البلاد كلَّ مسلم فى « فلوريس » بأنه كان شيوعياً ، وبهذا تسنَّى إعدام زعماء المسلمين جميعاً بعد تعذيبهم ، مما اضطر بعض المسلمين إلى الدخول فى النصرانية لينجوا من الموت والتعذيب .

❊

❊ « سينايان » من أعمال چاكرتا :

كانت قرية « سينايان » وادعةً إلى أن أصدر « سوكارنو » قراراً بجعلها مدينة للألعاب الرياضية ، وإجلاء السكان عنها ، فأمر وزير الصحة - وكان مسيحياً - بمنح جمعية الإدفنتست المسيحية قطعة أرض من أراضى هذه القرية كيما يُبنى عليها مستشفى تبشيرى ، فأثار حماسةَ الشباب المسلم فقام بالاستيلاء على هذه الأرض وعلق عليها لافتة باسم « مشروع مسجد الهدى » وذلك بعد معارك عنيفة .

❊ ❊ ❊

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ص ٧٥

الجمعيات التبشيرية

تنوعت هذه الجمعيات وتكاثرت فى كل البلاد الأوروبية بغية دعم العمل التبشيرى فى آسيا وإفريقيا ، ومن أهم هذه الجمعيات - كما ذكرنا - جمعية لندن التبشيرية التى تأسست عام ١٧٩٥ وبها مئات الأساقفة التى تأسس على غرارها عدد من الجمعيات فى كل من اسكتلندا ونيويورك وألمانيا والدانمرك وهولندا والسويد والنرويج ، وكانت توجه مبعوثيها إلى كل بلاد العالَم غير المسيحى ، ففى الهند لها إرسالية فاكتفوا بأخذ اللقطاء وأبناء الفقراء يربونهم ويعلمونهم المسيحية تحت ضغط الحاجة (١) .

وفى سنة ١٨٥٥ تأسست جمعية الشبان المسيحيين من الإنجليز والأمريكان ، وعقد للطلاب النصارى مؤتمر فى « نورثفيلد » اجتمع فيه ٢٥٠ مندوباً عن ثمانين مدرسة تكفلت بتقديم مائة شاب لنشر المسيحية ، وقد انبثق عن هذا تكوين « جمعية الشبان المتطوعين للتبشير فى البلاد الأجنبية » ، وبخاصة بين المسلمين ، وكان أهم ما تعول عليه هو نشر الإنجيل بينهم .

وفى عام ١٨٩٥ تأسست « جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين فى العالم انضم إليها بعد تأسيسها نحو (١٠٠ر٠٠٠) طالب وأستاذ يمثلون أربعين قومية وقطر .

وفى سنة ١٩٠٢ تأسست جمعية لتبشير الشبان مستهدفة استمالة النساء والفتيات والفتيان إلى استماع صوت المبشرين .

وفى سنة ١٩٠٧ تأسست جمعية أخرى لتبشير الكهول .

وتأسست جمعية تبشير شمال إفريقيا للانتشار فى المغرب والجزائر وسائر بلاد المغرب .

---

(١) ولجمعية التبشير الكنسية فروع فى بغداد والموصل بالعراق وفى معظم أنحاء العالم .

ودخل المبشرون الكاثوليك ربوع إفريقيا منذ القرن الخامس عشر أى مع الاكتشافات البرتغالية ، ثم تتابعت الإرساليات البروتستانتية إنجليزية وألمانية إلى جانب الإرساليات الفرنسية ، ومنذ عام ١٨٠٤ وجمعية الكنيسة البروتستانتية تقوم بدور مكثف فى إفريقيا الغربية ثم امتدت إلى الكنغو والنيجر الغربية ، ثم هبط مبشرو المدرسة الجامعة فى مدينة ممباسة ، ونشطت السويد وانجلترا فى إرسال مبعوثين إلى غربى إفريقيا ، كما أرسل الكاردينال وفداً إلى أوغندا فشل فى مهمته للانقسام الذى بين الكاثوليك والبروتستانت .

ثم وفدت بعثة « لفنجستون » و« ستانلى » عام ١٨٧٨ إلى إفريقيا الوسطى ، فاقتسموا مناطقها وكان مجال نشاطهم من الوسط إلى شرق إفريقيا .

وفى الصين بدأت حملة التبشير إلى سنة ١٨١٣ مستعينة أولاً بالأطباء والممرضين .

وفى فارس فتح بها « بروس » عدة مدارس سنة ١٨٦٩ وما بعدها ، كما أسس عدة مستشفيات ضمنها مستشفى للإناث ، ومدرسة داخلية للسيدات فى أصفهان .

وفى الهند ألفى بعثة تبشير حتى سنة ١٩١٠ وألف مدرسة .

* *

● **جمعية التبشير الألمانية :**

أعلن عنها مؤسسها عام ١٨٩٠ . . وكانت من قبل تسمى جمعية إسعافات الأرمن لأنها تأسست عقب فتنة الأرمن ومذابحها عام ١٨٩٥ ، ولها عدة إرساليات فى معظم بلاد العالم . . وكانت تركز على ما سمى منطقة الشرق الأوسط والقضاء على خلافة العثمانيين تيسيراً لتمكين اليهود من الاستقرار فى دولة إسرائيل .

* * *

قائمة ببعض المستشرقين من رجال الدين

● ففى إيطاليا :

١ - الأب « كاستلانى » (١٨٧٤ - ١٩٤٦) : من مواليد روما وهو فرنسيسكان الرهبنة .

٢ - الأب « مونتانو » ولد بإيطاليا سنة ١٩٠٤ وهو فرنسيسكان الرهبنة .

٣ - الأب « باجاتى » : ولد سنة ١٩٠٥ فرنسيسكى .

٤ - الأب « زائيلا » : ولد سنة ١٩١١ وهو فرانسيسكى الرهبنة .

٥ - الأب « موترد » (١٨٨٠) : ولد فى ليون وانسلك فى سلك الرهبانية اليسوعية عام ١٨٩٨

٦ - الأب « ماريتى » (١٧٣٦ - ١٨٠٦) : وقد ألف عدة كتب فى تاريخ الصليبيين تمثل وجهة نظر رجال الدين المسيحى طبعاً [١] .

٧ - الأب « روزا ريوغريفريو » (١٧٥٣ - ١٨٠٩) : وقد تفرغ لتاريخ صقلية فى عهد العرب .

٨ - الأب « لويجى انجاريللى » (١٧٧٩ - ١٨٤٥) : وهو من رجال الدين وكان مديراً للقسم المصرى فى متحف الڤاتيكان .

٩ - « أغناطيوس جويدى » (١٨٤٤ - ١٩٣٥) : وهو من مواليد روما ، وقد عهد إليه بتعليم العربية فى جامعتها عام ١٨٨٥ ، فوسع دائرتها بعد أن كانت محصورة فى الرهبان ومَن إليهم من رجال السلك السياسى ، ومن مؤلفاته « بلاد العرب قبل الإسلام » (باريس سنة ١٩٢١) .

١٠ - الأب « رونكاليا » : ولد فى « رجيولو » بإيطاليا سنة ١٩٢٣ وهو من الفرنسيسكان .

١١ - الأب « بواديار » : وهو من كبار رجال الدين فى إيطاليا ، له كتاب « تنظيم مراعى سوريا الرومانية » فى (٢٥٤) صفحة .

---

(١) المستشرقون : ص ١٥٣ - الطبعة الثانية .

١٢ - الكاردينال « شارل مارتيال لافيجرى » : مكث أسقفاً للجزائر نحو أربعين سنة ، وقد أنشأ زاوية مسيحية فى مدينة « بسكرة » التى تقع فى منتصف الطريق بين جبال الأوراس وبحيرات شط الغرسة ، وأمر أتباعه بارتداء الملابس التى يرتديها المرابطون المسلمون فى زواياهم ، مع فارق واحد ، هو غطاء الرأس ، فألزمهم القبعة بدلاً من الكوفية التى يعتمّ بها المسلمون ، ولم تجد حيلته شيئاً كما يقولون .

١٣ - الأب « فنيسين » رئيس مركز دراسات الكتاب المقدس فى القدس .

١٤ - الأب « بويج » : ولد فى « أوفرنى » عام ١٨٧٨ ، وانضم إلى الآباء اليسوعيين عام ١٨٩٣ ، واشترك فى تحرير مجلة جامعة القديس يوسف التى تسمى « منوعات » ، توفى سنة ١٩٥١

* *

● **وفى فرنسا** :

١ - الأب « ماريا شنايدر » (١٨٩٦ - ١٩٥٢) : فرنسيسكى توفى بسوريا .

٢ - الأب « لامانسى » (١٨٦٢ - ١٩٣٧) : بلچيكى المولد فرنسى الجنسية صاحب كتاب « الثأر وسمته الدينية فى عُرْف الجاهلية » .

٣ - « بطرس المحترم » (١٠٩٢ - ١١٥٦) : وقد عين رئيساً لدير « كولونى » سنة ١٩٣٣ ثم قصد إلى الأندلس وتثقف ثم عاد إلى ديره يصنف الكتب فى الرد على الإسلام ، ويقال : إنه ترجم القرآن وأتبعه برد على مبادئه .

٤ - « جربر دى أوروالياك الراهب الفرنسى » (٩٣٨ - ١٠٠٣) : من الرهبانية البندكتية . تلقى تعليمه فى « تور » و« صقلية » ثم ذهب إلى الأندلس فأخذ من علمائها فى مدارس « ريبول » و« أشبيلية » و« قرطبة » . ثم ارتحل إلى « روما » . وسما على أقرانه وانتخب حَبْرا أعظم باسم « سلفستر الثانى » (٩٩٩ - ١٠٠٣) أى أنه ثقف فى عهد خلافة الحاكم وما قبله من الأعصر

الزاهرة فى الأندلس . وبعد انتخابه أنشأ مدرستين عربيتين . الأولى فى إيطاليا وهى مقر خلافته ، والثانية فى « ريمسى » من أعمال فرنسا وهى وطنه [1] وهو بهذا أول بابا فرنسى .

٥ - « أرنست رينان » (١٨٢٣ - ١٨٩٢) : تخرج من المدارس اللاهوتية وترجم كتاب أيوب ونشيد الأناشيد وحياة يسوع وكتاب « الرسل » وكتاب « القديس بولس » ومن تلامذته المعاصرين « ل . جوتيه » .

٦ - « رينودو » (١٦٤٨ - ١٧٣٠) : وهو راهب فرنسى كتب تاريخ البطاركة الموازنة واليعاقبة والنساطرة والأقباط والأحباش .

٧ - « بورغارد » (١٨٠٦ - ١٨٦٦) : وقد أنشأ أول مطبعة عربية بتونس .

٨ - « جاك بارتلمى » (١٧١٦ - ١٧٩٥) : وهو راهب اشتغل بآثار الفينقيين والتدمريين ونقود الإسلام ، وهو صاحب رحلة « أناكرسيس فى أخبار اليونان » .

٩ - « الأب كولنجت » (١٨٦٠ - ١٩٤٣) : دخل الرهبانية اليسوعية سنة ١٨٧٩ وبعد أن أتم دراسته التحق بمدرسة « القديس كرافيه » للآباء اليسوعيين فى الإسكندرية .

١٠ - « يوحنا بلو اليسوعى » : تلقى دروسه فى مدرسة « ديجون » الإكليريكية بفرنسا ، ثم انتظم فى سلك الرهبانية اليسوعية ، وكان ممن عهد إليهم فيما بعد إدارة المطبعة الكاثوليكية ، وإصدار صحيفة البشير ، ومن مؤلفاته « أجمل روايات الأسفار المقدسة » فى ٣ أجزاء ، وهو من مواليد « لوكسى » من أعمال فرنسا .

١١ - « ادوار مونتيه » (١٨٥٦ - ١٩٢٧) : فرنسى تخرج من جامعات « چنيف » و« برلين » و« هايدبرج » ، وأحرز درجة الدكتوراة فى « اللاهوت البروستانتى » من جامعة باريس سنة ١٨٨٣

---

(١) المستشرقون ص ١٩ وفى الطبعة الثالثة ص ١٢١

١٢ - ادلرد أوف باث (١٠٧٠ - ١١٣٥) : راهب بندكتى . تلقى علمه فى تور ، والأندلس ، وصقلية .

١٣ - « ل . جوتيه » : فرنسى متعصب ضد الإسلام والأجناس غير الآرية عموماً .

١٤ - دكتور « دريوتون » : (١٨٨٩ - ١٩٦١) : ، وهو فرنسى اشتهر فى الدراسات الأثرية ، وقد نال ليسانس العلوم الشرقية من المعهد الكاثوليكى بباريس ، وعين أستاذاً به .

١٥ - « هنرى لامانس اليسوعى » : (١٨٦٢ - ١٩٣٧) : بلچيكى المولد وفرنسى الجنسية ، وهو من أوائل علماء الجامعة اليسوعية ببيروت ، وقد تنقل شرقاً وغرباً فيما بين سنتى (١٨٩١ - ١٨٩٧) فدرس اللاهوت فى إنجلترا ، وتولى إدارة التبشير فى بيروت ، وألف كتاب « مشاهير اليسوعيين » ، وكتب فى الإسلام : « مهد الإسلام » ، و« معاوية الثانى » ، و« مكة قبيل الهجرة » ، و« المعابد فى غرب الجزيرة قبل الهجرة » .

١٦ - الأب « بارجيس » (١٨٨٠ - ١٨٩٦) : أستاذ اللاهوت فى السوربون .

١٧ - « بوهل فرنفز » (١٨٥٠ - ١٩٣٢) : نال درجته العلمية فى اللاهوت عام ١٨٧٤ وأصدر « حياة محمد » سنة ١٩٠٣

١٨ - « جودى بيتر دى همر » (١٨٩٧ - ١٩٤٥) : نال درجته العلمية فى اللاهوت أيضاً عام ١٩٢٢

١٩ - « بدرسن » (١٨٨٣) التحق بالجامعة لدراسة اللاهوت عام ١٩٠٢ وقد اختتم دراساته بالجزءين الثالث والرابع من كتابه « إسرائيل » عام ١٩٣٤ وشرح آيات « رع سمرا » عند اليهود وله « الريبة عند اليهود » ، وازن فيه بين حياة العرب واليهود قديماً .

* *

● **وفى السويد :**

« هولومبوى » (١٧٩٦ - ١٨٨٢) : درس اللاهوت ، ونقح ترجمة التوراة بمساعدة اثنين من أساتذة اليهود عام ١٨٤٦ فاستخلص - عدا مهمته - جغرافية التوراة ، وخريطة لفلسطين ، وأبحاثاً فى مفردات التوراة وأبطالها نشرها فى مجلات ورسائل .

* *

● **وفى أسبانيا :**

١ - الأسقف « أورتيث » : ولد سنة ١٨٩٨ ، من الرهبانية الأوغسطينية .

٢ - الأب « كانيس الفرنسيسكانى » (١٧٣٠ - ١٧٨٩) : أقام فى فلسطين وسوريا ولبنان ، وعلَّم العربية لرهبان دمشق .

٣ - الأب « دى لاتوره » : توفى سنة ١٨١٩ ، وهو من مواليد « كونسوجرة » من أعمال « ماليطلة » وانضم إلى رهبانية « إيرونيموس » سنة ١٧٨٤

٤ - « كانيس الراهب الفرنسيسكانى » (١٧٣٠ - ١٧٥٩) : نزل فلسطين والشام .

٥ - « يوحنا بن داود الأسبانى » : فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، يهودى متنصر خلف « ريموند » على أسقفية طليطلة [١] .

٦ - الأب « خوسة لرخندى » الفرنسيسكانى (١٨٣٦ - ١٨٩٦) انضم إلى الرهبانية عام ١٨٥٦ وقصد إلى طنجة حيث أسس مستشفى ومدرسة وكنيسة ومطبعة عربية ، وهذه المؤسسات تشير إلى اتجاهات عمله التبشيرى .

٧ - الأب « فرانشيسكو سيمونيث » (١٨٢٩ - ١٨٩٧) : ولد فى مالقة وتخرج من جامعة غرناطة .

٨ - الأب « آسين بالاثيوس » (١٨٧١ - ١٩٤٤) : انتخب عضواً فى مجامع علمية عديدة منها المجمع العلمى العربى بدمشق [٢] .

---

(١) المستشرقون : ص ١٢٣ - الطبعة الثانية . (٢) المستشرقون ص ٥٩٥ - الطبعة الثالثة .

٩ - الأب « بنويلا اليسوعى » : ولد سنة ١٩٠٢ ، ولقب أستاذاً فى معهد الكتاب المقدس بروما سنة ١٩٤٠ [١] .

١٠ - الأب « فيليكس باريخا » اليسوعى : ولد عام ١٨٩٠ ، نال الدكتوراة فى اللاهوت سنة ١٩٢٨

١١ - الأب « مانويل ألونسو » اليسوعى (١٨٩٣) : دكتور فى الفلسفة واللاهوت من الجامعة البابوية بكوميتياس ، وسمى أستاذاً للاهوت فى جامعة نانيانى بإيطاليا .

١٢ - الأب « لوثيا نورومبيو » : ولد عام ١٩٠٩ ، وانتخب رئيساً عاماً للرهبنة الأرغسطينية .

١٣ - الأب « جوميث نوجاليس » اليسوعى : ولد عام ١٩١٤ ، وهو متخصص فى اللَّهجات المغربية البربرية .

١٤ - الأب « اكتبان إيبانيث » الفرنسيسكانى : ولد عام ١٩١٦ ، ومن آثاره العلمية : « يوحنا الشقوبى والقرآن » طبع بثلاث لغات عام ١٩٤٩ ، و« يوحنا الشقوبى والمسألة الإسلامية » وهو رسالته للدكتوراة فى ٣٧٤ صفحة

١٥ - الأب « خيل بنومايا » : وهو من المعاصرين .

* *

● **وفى البرتغال** :

الأب « مانوين فيلاسى بواس » : وقد أنشأ فى دير يسوع للفرنسيسكان بلشبونة كرسياً للعربية ، وممن تخرجوا فى هذا الدير الأب « جان بدى صوصة » (١٧٧٤ - ١٨١٢) وهو عربى من دمشق ، والأب مانويل ريبيلو دى سيلفا » ، والأب « جوسه مورا » .

* *

---

(١) المستشرقون ص ٦١٠ - الطبعة الثالثة .

● **وفى بولونيا :**

الأب « ريلو » (١٨٠٢ - ١٨٤٨) : وهو من الآباء اليسوعيين ، وإليه يعود الفضل فى إنشاء جامعة القديس يوسف فى بيروت ، وقد تولى رئاسة الكلية الأوربانية فى روما .

* *

● **ومن الإنجليز :**

١ - « سيمون أكلى » (١٦٧٨ - ١٧٢٠) : وقد عين رئيساً لقساوسة أبرشية « واڤيس » مقاطعة كمبردج سنة ١٧٠٥ ، ثم اختير أستاذاً للعربية بجامعة كمبردج .

٢ - « إدوارد بوكوك » (١٦٠٤ - ١٦٩١) : صار قسيساً عام ١٦٢٩ ، وفى عام ١٦٤٢ عين قسيساً لتشيلدرى ، وقد ترجم إلى اللاتينية تاريخ أبى الفرج العبرى وأهداه إلى ملك إنجلترا .

٣ - « كورتون » (١٨٠٨ - ١٨٦٣) : وهو من خَدمة المذهب البروتستانى .

٤ - « توماس هايد » (١٦٣٦ - ١٧٠٣) : راعى كنيسة السيد المسيح فى أكسفورد ، والمترجم الحكومى للغات الشرقية .

٥ - « باكون » (١٢١٤ - ١٢٩٤) : وهو راهب إنجليزى .

٦ - « ريشارد بل » : تخرج من جامعة أدنبرة باسكتلندا ، وهو من رجال الدين ، قد ترجم القرآن عام ١٩٣٧ وأتمه عام ١٩٤١ محاولاً تأكيد العلاقات المسيحية بالنبى ، وكان غرضه من الترجمة تحليل السور المتفرقة ، ولهذا وضع لها قوانين النقد الأدبى كما هى الحال فى المؤلفات الغربية التى تتناول الأدب العالمى .

٧ - الأسقف « بريان والتون » (١٦٠٠ - ١٦٦١) : كان راعياً لكنيسة الملك - وجمع تبرعات لنشر التوراة بعدة لغات ، ورُسِم أسقفاً على « تشستر » عام ١٦٦٠

٨ - « ديكويل » : من إرلندا ، راهب زار مصر ولمع اسمه عام ١١٢٥م .

* *

● **ومن الألمان :**

١ - « توما الأكوينى » : (١٢٢٥ - ١٢٧٤) : وهو القديس المعروف الذى نقل الصورة الدينية لقصة الإسراء والمعراج إلى الأدب اللاتينى ، وهو من أسرة المانية الأصل ، تعلم فى دير « مونت كاسينو » للرهبان البندكتين فى ألمانيا .

٢ - « كوزجرتن » (١٧٨٢ - ١٨٦٢) : وقد عين فى عام ١٨١٤ معاوناً فى تدريس اللاهوت والفلسفة فى مدرسة « غريفسولد » ثلاث سنوات .

٣ - « البير الكبير » (١١٩٣ - ١٢٨٠) : وهو ألمانى عاش فى دير كولونى فترة ثم رشحه مطران ألمانيا أسقفاً على « ريجنبرغ » ثم انقطع إلى التأليف فى بولونيا وطبع له « توسيعات فى الفلسفة » و« قضايا فلسفية ولاهوتية » عام ١٤٧٣ - وهو دومينيكى الرهبنة .

٤ - « يوليوس ولهاوزن » (١٨٤٤ - ١٩١٩) : وهو مؤلف تاريخ اليهود ، ويعمل على تشويه مبادئ الإسلام .

٥ - « تيودورى نولدكه » : ألمانى معروف بعدائه للإسلام ، له كتاب عن القرآن وآخر عن التاريخ الإسلامى ظهر بالإنجليزية فى سلسة تاريخ العالم .

* *

● **ومن الدانمارك :**

١ - « ج . ل . رسموسن » (١٧٨٥ - ١٨٢٦) : ، نال درجته العلمية فى اللاهوت عام ١٨٠٦ ، وفى عام ١٨١١ نال جائزة على رسالته التى رد فيها على « جبل قاف » من أساطير العرب ، وكأن هذه الأسطورة حقيقة إسلامية ، وإنما يبغى بهذا إظهار المعتقدات الإسلامية فى صورة مشوهة ، وقد مات شاباً .

٢ - « هـ . رسموسن » (١٨٥٣ - ١٩٠٤) : نال درجته العلمية فى علم اللاهوت عام ١٨٧٧ وقضى بقية عمره مدرساً .

٣ - « فان مهرن » (١٨٢٤ - ١٩٠٧) : وهو تلميذ الكاهن السياسى الدانماركى « مُنرج » .

* *

● **وفى إيطاليا :**

١ - « دافيد (داود) سانتلانا » (١٨٤٥ - ١٩٠٣) : ولد فى تونس وقد دعاه المقيم العام الفرنسى فى تونس لدراسة تدوين القوانين التونسية ، فوضع القانونين المدنى والتجارى معتمداً على قواعد الشريعة الإسلامية ، ومنسقاً على غرار القوانين الأوروبية (١) .

٢ - « يحيى عمان » : واحد من ثلاثة إيطاليين قدموا اللُّغة العربية إلى إيطاليا ، وهو من المعاصرين ، ولا يزال حريصاً على متابعة الإبداع العربى ليقدمه فى محاضراته لطلبته فى جامعة نابولى بإيطاليا .

ولد فى القاهرة سنة ١٩٢٢ ، ثم تركها ليستقر فى إيطاليا عام ١٩٥٠ ولا يزال بها ، يشغل حالياً (١٩٩٢) منصب رئيس كلية الدراسات الإسلامية بجامعة نابولى ، وهو أيضاً استاذ اللُّغة العربية وآدابها بنفس الجامعة .

وحين كان بالقاهرة صغيراً قدمت له أمه - وكانت مدرسة بالمدراس الإيطالية - جريدة الأهرام ليقرأ العناوين وبالتدرج يقرأ الموضوعات ، وأحضرت له مدرساً للغة العربية فدرس له كتاب قواعد اللُّغة العربية للرشيد الشرطونى ، ومع الاختلاط بالمصريين استطاع أن يهضم اللُّغة العربية .

وفى جامعة نابولى ثلاث كليات تهتم باللُّغة العربية : وهى كلية الدراسات الإسلامية ، ثم كلية الآداب ، وكلية العلوم السياسية ، وبكل منها قسم للدراسات العربية ، وهى تشترط على طلبتها دراسة اللُّغة العربية ، وإن كانوا قلَّة لعدم وجود وظائف حكومية أو غيرها تتطلب اللُّغة العربية ، وقد تقدم « يحيى عمان » إلى الجهات المعنية بمصر بمشروع ترجمة بعض كتب الأدب العربى يتفق عليها بين بعض المهتمين بالأدب من مصر وإيطاليا .

٣ - « نللينو » : وهو أحد المهتمين بالأدب العربى ، وقد أنيط به تدريس الأدب العربى قديماً بجامعة القاهرة .

---

(١) المستشرقون ص ١٦٠

٤ - « جابرييلى » : وقد أصبح فيما بعد رئيساً لأكاديمة « لينشاى » بروما ، وهى أكبر أكاديمية علمية وأدبية فى إيطاليا .

❊ ❊

● **وفى سويسرا :**

الأب « زيموفيه » (١٨٤٨ - ١٩٢٨) : من اليسوعيين .

❊ ❊

● **وفى المجر :**

١ - « جولد زيهر » (١٨٥٠ - ١٩٢١) : وهو من شر مَن حرَّفوا فى الإسلام وتاريخه ، ومن أبحاثه التى نشرها بالألمانية : « الإسلام » ، كما ترجم « مهدى الموحدين » لمحمد بن تومرت ، وله بالفرنسية رسالة فى « السامرى » ، و« عجل الذهب » ، ورسالة « الحسين بن منصور الحلاج » نقد فيها كتاب « الطواسين » لماسينيون وذلك عام ١٩١٣ ، وله بالألمانية « الجدل عند الشيعة » (ليبزغ عام ١٨٧٤) والأساطير عند اليهودية ، وله كتاب الفقه العربى فى مجلدين ، كما نشر كتاب المعمَّرين للسجستانى .

٢ - الأب « كمسكو » : شغل مركز « جولد زيهر » الخالى عام ١٩٢٧

٣ - « يليوس جرمانس » (١٨٨٤) : وهو تلميذ « جولد سيهر » و « فامبرج » ، ولكنه أسلم فى الهند ، وألف كتاب « الله أكبر » .

❊ ❊

● **وفى بلغاريا :**

الأب « سباستيان رونزفال » (١٨٦٥ - ١٩٣٧) : وهو يسوعى الرهبنة .

❊ ❊

● **وفى النمسا :**

١ - الأب « كلاينهانس » : ولد سنة ١٨٨٢ ، وهو من الفرنسيسكان .

٢ - الأب « ياهن » (١٧٥٠ - ١٨١٦) : وثقافته قد اقتبسها من مؤلفات المستشرقين ابتداءً حتى تعلم العربية عنهم فأخذ يقرأ بها [١] .

٣ - « زونتايمر » : وهو طبيب بالجيش ، وقد أرسلته النمسا إلى السودان فى فبراير عام ١٨٤٨ أول حملة تبشيرية كاثوليكية بدعوى العمل بين الوثنيين ، وعندما قسم الإنجليز السودان قسمين يفصلهما خط عرض ١٢ ، صار جنوب السودان مغلقاً لحساب التبشير بالمسيحية ، ومنذ سنة ١٩٢٦ كان للتبشير حصة من ميزانية السودان الرسمية [٢] .

* *

● **وفى هولندا :**

١ - « چوزيف هوبين » : ولد سنة ١٩٠٤ ، تربى فى مدارس الآباء اليسوعيين وانضم إلى رهبانيتهم .

٢ - « كريستيان سنوك هوبرونجه » (١٨٥٧ - ١٩٣٦) : أستاذ العربية فى بجامعة ليدن سنة (١٩٠٧ - ١٩٢٧) وهو خبير حكومة هولندا فى الشئون الإسلامية الحديثة [٣] .

٣ - ومن أقدم رجالها الراهب الهولندى « ج . وسل » (١٤٢٠ - ١٤٨٩) : وله بحث عن اشتقاق الإنجيل من التوراة ، وبحث عن علوم العرب .

٤ - « فنسنك » (توفى سنة ١٩٣٩) : عمل أستاذاً للغة العربية بجامعة ليدن وهو من أشهر المستشرقين الهولنديين بسبب عنايته بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ويرجع تاريخ فكرة المعجم إلى سنة ١٩١٦ ، وقد خرج المعجم فى ثمانية أجزاء ظهر الجزء الأول منها سنة ١٩٣٦ ، أما الأجزاء

---

(١) المستشرقون ص ١٦٦ الطبعة الثانية ، والطبعة الثالثة ص ٦٢٧

(٢) حقائق عن التبشير ص ٧٤ نقلاً عن التبشير والاستعمار .

(٣) المستشرقون ص ١٤٧

الأخرى فظهرت بعد وفاة « فنسنك » ، وكان ظهور الجزء الثامن والأخير فى عام ١٩٦٩ ، وقد أشرف على إخراج المعجم بعد وفاة « فنسنك » عدد من المستشرقين .

قال الدكتور أحمد عبد الحميد غراب [١] : « لا شك أن المعجم مرجع هام ، أما أنه مرجع نافع أو ضار ، فهذا يتحدد بالهدف من استعماله ، فالمسلم يستعمله ليرجع إلى أحاديث الرسول ﷺ للاهتداء بها والعمل بمقتضاها والدعوة إلى اتباعها ، وبهذا يكون مرجعاً نافعاً .

« أما المستشرق فيمكن أن يستعمله كأداة قريبة المنال للوصول بسرعة وبسهولة إلى الأحاديث ، واستخدامها للطعن فى القرآن والسُّنَّة والعقيدة والشريعة ، وفى الإسلام كله .

« ولا شك أن فكرة وضع المعجم من قبل « فنسنك » - كانت لتحقيق هذا الهدف ، كما يتضح من ظروف وضعه وتمويله واستخدامه ، وكما يتضح بوجه خاص من الكتاب الذى ألفه « فنسنك » إبَّان اشتغاله بإخراج المعجم ، وهو كتاب « العقيدة الإسلامية » .

* **تمويل المعجم** : اشترك فى تمويل هذا المعجم مؤسسات حكومية رسمية معروفة بنشاطاتها فى خدمة الاستعمار الغربى ، وفى حرب الإسلام والمسلمين .

ومنها - على سبيل المثال - الأكاديمية الملكية الهولندية التى شملت المشروع برعايتها ، وبتقديم المنح المالية بصورة مستمرة ، وكذلك الحكومية الهولندية نفسها ، التى قدمت للمشروع مساعدات مالية « جديرة بالاعتبار » - على حد تعبير « فنسنك » نفسه - وكذلك الأكاديميات الرسمية فى كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا والدول الاسكندنافية ويوغسلافيا .

ولا يقول عاقل : إن هذه المؤسسات قامت بتمويل المشروع خدمة للعلم

---

(١) أستاذ بجامعة الملك ابن سعود بالرياض .

لوجه العلم ، أما انتفاع المسلمين بالمعجم فقد جاء عرضاً ، ولم يكن قط مقصوداً من المستشرقين أو مموليهم .

وهذا يذكرنى بإنشاء المستعمرين الأوروبيين لخطوط السكك الحديدية فى مستعمراتها فى إفريقيا وآسيا ، فلا شك أنها أنشئت لاستنزاف ثروات الشعوب المستعمرة ، ولنقلها إلى الدول الأوروبية بأسرع طريق ممكن ، ولكنها أفادت أهالى المستعمرات عندما قدروا على الانتفاع بها : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

٥ - الأب « كريستيان فان نيسْبِمنْ فون سيفينباير » : ولد سنة ١٩٣٨ ، وانضم إلى الرهبانية اليسوعية صغيراً ، وتلقى تعليمه العالى فى جامعات بيروت وعين شمس ونيجميجن .

٦ - « ورنر » (١٦٠٨ - ١٦٦٥) : كان سفيراً لهولندا فى الآستانة عام ١٦٥٥

* *

● **وفى الدانمارك :**

« دى فونتناى » (١٨٨٠) : عين وزيراً للدانمارك بإيسلندة سنة ١٩٢٤ ، وله كتب عن تاريخ العرب وآسيا الشرقية - وثقافة آسيا الشرقية ، أصدره سنة ١٩١٢ ، وله مقال عن تاريخ الشرق الأدنى نشره عام ١٩١٩

* * *

(١) الأنفال : ٣٠

الأغراض السياسية

جاءت الصلة بين فرنسا والعرب فى وقت مبكر ، ففى عهد « الوانين » ملوك فرنسا غزا العرب البلاد واستولوا على « كاراسكون ، ونيم ، وليون ، وماكون ، وغرينويل ، ومارسيليا ، ونيس ، وفريجورى » سنة ٧٣٧ م ، كما احتلوا « ناريون » ، ثم بعد فشلهم فى حصار « تولوز » فى عام ٧٢١ م تابعوا سيرهم واكتسحوا « أوتن » ، وغماليس وأعلى نهر الرون ، واللُّوار ، ثم وادى « دوفينه » و « برغونيا » و « الريفييرا » .

ويضيف « سيديو » إلى هذه الفتوح فتح العرب « أتون ، وأفينيون ، وبوردو » ، ولم يقف فى وجه العرب بعد ذلك محارب إلا فى معركتى « تور » و « بواتييه » ، ولم ينسحب العرب من فرنسا إلا بعد قرنين متواليين تركوا خلالهما كثيراً من آدابهم وفكرهم ، وتاريخ بلادهم وأحوالها ، وطبيعتها ، ولم يكن بين العرب وفرنسا كبير غربة عندما كان للمسلمين السيادة العالمية أو الوزن السياسى والاجتماعى الراجح دولياً . ولذا كانت الضرورة ماسة إلى تعلم الفرنسيين لغة أصدقائهم أو خصومهم العرب . فأوفدت حكومة فرنسا لفيفاً من بنيها إلى صقلية والأندلس لتعلُّم العربية ، ثم أنشأت مدارس « ريمس » و « مونيليه » وغيرهما ، وقد وُضع فى الاعتبار أن تكون العربية من أهم مواد الدراسة فيها ، فلما أنشئت جامعة باريس سنة ١٣٢٥ م ، كان لهذه اللُّغة قسم من أقسامها ، ولما وَلى لويس الحادى عشر الملك أمر بتدريس « أرسطو » بشرح الفيلسوف الإسلامى ابن رشد ، وكان ذلك عام ١٤٧٣ م ، بينما كانت جامعة لوفان البلجيكية تدرس قانون ابن سينا فى الطب .

وفى عام ١٥١٩ استقدم « فرانسوا الأول » الأسقف « كيستنيانى » لتدريس اللُّغتين العربية والعبرية فى « ريمس » فأعاد إلى مدرسة ريمس مجدها الأول .

وقد أرسل « فرانسوا الأول » فى عام ١٥٣٤ « ويلهام بوستل » الفرنسى الأصل إلى مصر ، ثم إلى استانبول حيث تعلم العربية والتركية والعبرية ، وألمَّ بعض الشىء باللُّغة الحبشية ، ولما عاد إلى وطنه عيَّنه الملك أستاذاً للغات الشرقية فى جامعة باريس عام ١٥٣٧ ، فوضع كتاباً فى النحو العربى ، قدَّم له بأهمية تعلم العربية للعملية التنصيرية ، وختمه بترجمة الفاتحة باللاتينية [١] .

وفى عام ١٥٣٠ أنشأ معهد فرنسا بباريس وجعل من أقسامه قسماً للُّغة العربية جدده « هنرى السادس » سنة ١٥٨٧

كما أنشأ البابا « غريغوريوس الثالث عشر » المتوفى سنة ١٥٩٥ المدرسة المارونية فى روما وأعد لها مطبعة لنشر المخطوطات العربية ، فحذت فرنسا حذوها وأنشأت مطبعة عربية طبعت فيها أول الأمر التوراة سنة ١٦٤٥ ، واهتم « لويس الثالث عشر » بنشر المخطوطات التى لدى الباب العالى ، ورأى « كولبير » وزير « لويس الرابع عشر » أن الحالة باتت بحاجة إلى أناس يجيدون العربية بأصولها قراءة وكتابة . فألف بعثة عرفت باسم شباب اللغات ، بقرارات رسمية وقعها الملك فى سنوات (١٦٩٩ ، ١٧١٨ ، ١٧٢١) فتعلم الشباب الفرنسى فى مدارس باريس العربية على نفقة الملك ، ثم أرسلوا إلى القسطنطينية لإتمام دروسهم فيها ، فإذا أتموها أُلحقوا بالسلك السياسى أو انتُدِبوا أساتذة للُّغات الشرقية بباريس .

وفى عام ١٦٠٩ أنشىء كرسى خاص للدراسات الشرقية - وبصفة خاصة العربية - فى جامعة « هامبورج » فى ألمانيا ، وقد اتخذ « يعقوب كريستمان » - وهو تلميذ « ويلهام بوستل » فى العربية ، من دراسة العربية وسيلة لنشر المسيحية فى الشرق العربى ، ولكن « يوسف سكاليجر » (١٥٤٠ - ١٦٩٠)

---

(١) رابح لطفى جمعة : القرآن والمستشرقون ص ٦ - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وضع منهجاً جديداً لتحقيق أهدافه ، فبدأت الدراسة الجادة لتاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية ، أو ما نطلق عليه الآن « الاستشراق »

وفى عام ١٦٩٠ أُحرقت المطبعة ولكنها أُعيدت ، ونقلها « نابليون » إلى فرنسا وهى التى اصطحبها معه إلى مصر فى حملته ، وقد ظلت مطبعة « مدسيس » أدق مطبعة طبع فيها المستشرقون الإيطاليون تصانيفهم مثل « امارى » و« جويدى » و« بارلى » .

ثم أنشأ « دى بريف » مطبعته الحجرية فى روما لطبع مئات المخطوطات العربية التى عثر عليها عندما كان سفيراً لفرنسا بالقسطنطينية ، وتنشر ما يريد نشره من مخطوطات غَنيت بها إيطاليا التى اشتهرت فيها - بالمخطوطات النادرة - مكتبات « أمبروزيانا » و« الڤاتيكان » و« بالاتينا » ، وعلى سبيل المثال نجد فى مكتبة أمبروزيانا (١٤٠٠) مجلد مخطوط وعدة مصاحف أثرية . . كما نشر الأسقف « نابيو جوستينانى » الزبور بأربع لغات منها العربية عام ١٥١٦ وقد طبعه فى مطبعة البندقية . . وقد أنفق هذا الأسقف ثروته فى جمع المخطوطات العربية .

ثم نهضت فرنسا راعية الكاثوليكية فنافست إيطاليا (الأم الأولى للمسيحية) فى الطباعة العربية ، وأنشأت مطبعة عربية لها عام ١٦١٣ ، أى بعد أن عرفت إيطاليا الطباعة العربية بأربعة عشر عاماً . ثم أسس الڤاتيكان المدرسة المارونية ، ونقل طُلابها وأساتذتها خير التصانيف العربية ، فازدهر الاستشراق فى إيطاليا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، واستقام أمره وزاد ازدهاراً فى القرن التاسع عشر ، وواضح من كل هذا أن الاستشراق عمل « كنسى » فى ذروة الأعمال التى تنفق عليها الكنيسة . كما أنه فى نفس الوقت فى ذروة الأعمال التى تهتم بها الدول ذات الأغراض والمطامع السياسية

---

(١) القرآن والمستشرقون للأستاذ رابح لطفى جمعة ص ٦ - طبع القاهرة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » .

والاقتصادية ، وقد قدمنا قائمة ببعض أعلام المستشرقين الذين تربوا فى مدارس الكنيسة وأديرتها ، وكانت لهم أعمالهم ومناصبهم الدينية والتبشيرية المستقلة [١] .

وللغرض ذاته أمر « إسكندر الأول » بإنشاء مدرسة اللُّغات الشرقية الحية فى أوائل القرن التاسع عشر ، وكان لهذا كله أثر فى نجاح السياسيين الفرنسيين بالبلاد العربية ، كما كان له أثره فى إخصاب الأدب والفكر الفرنسى .

وقد اعترف بتأثره بالثقافة العربية من الأدباء كل من « ڤولتير » و « ڤيكتور هيجو » و « برناروچيه » و « شاتوبريان » الذى تأثر برحلة ابن الصائغ فى كتابه « لامارتين إلى لبنان » سنة ١٨٣٢

كما اعترف « منتسكيو » - من علماء الاجتماع - بتأثره فى فلسفته بابن خلدون ، ومن بعد « منتسكيو » جاء مَن نهج منهجه مثل « ميشليه » و« وجيرو » و« تيارس » و « تياريه » .

ويذكر « ريتشارد ب . ميتشيل » فى دراسته التى نال بها الدكتوراة عن « الإخوان المسلمين » والتيار السَلَفى عند رشيد رضا أن هذا الاهتمام بالتاريخ العربى والإسلامى هو جزء من السياسة الأمريكية العليا ، وقد بدأت الحكومة الڤيدرالية تهتم بذلك منذ الخمسينيات ، وظهر بأمريكا برنامج « التعليم من أجل الدفاع القومى » أى تعلُّم لغات وأحوال الدول الأسيو إفريقية للانتفاع بها فى خدمة السياسة الأمريكية ، وربما كان الاستشراق ستاراً للتجسس [٢] .

وللغرض ذاته فإن الصهاينة يدعمون الإرساليات التبشيرية فى إفريقيا وبلاد المسلمين ، ليس حباً فى المسيحية ، ولكن كرهاً للإسلام [٣] ، ويقيمون فى الجامعة العبرية دراسات شرقية وإسلامية ، لتكوين رجال وجيل قادر على

---

(١) انظر ص ١٠٧ من هذا الكتاب .

(٢) من بحث اللواء شيت خطاب بالمؤتمر الثامن لعلماء المسلمين المنعقد بالأزهر عام ١٣٩٧ هـ .

(٣) الإخوان المسلمين : لميتشيل ص ٧ من تقديم صلاح عيسى - الطبعة العاشرة - القاهرة سنة ١٩٧٧

خدمة المقاصد السياسية العليا للصهيونية ، فى مجالات الغزو الفكرى والاقتصادى والسياسى .

ويقول الأسقف « دى ميسفيل » وكيل إدارة البعثات التبشيرية فى الشرق بروما :

« إن الهدف الذى يتعين على المبشر تحقيقه . . هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التى يتميز بها الإسلام - أو على الأقل - إضعاف هذه القوة ، وأن على المبشر أن يدرس ويتفهم « قرآن محمد » ليعرف كيف يذكر الناس فى الشرق بأنه كانت هناك مدنية سابقة على الهجرة ، وأنها كانت مدنية مسيحية ، وأن يستخدم الأسلحة السلمية التى تأسر النفوس ، وفى مقدمتها الصدقات والمعونات ، وإقامة المعاهد والمدارس والمؤسسات الخيرية ، وهى كلها مؤسسات دينية » .

وفى وضوح يقرر الكاردينال « بوديار » أسقف باريس وغيره امتزاج الحركة التبشيرية والحروب الصليبية بالقصد السياسى الدينى فيقول « بوديار » : « وحسبنا أن تكون الأعلام التى ترفرف على الشرق تحمل الصليب فى طياتها . . وكفى » .

ويقول اليسوعيون : « ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أوَ لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ، ولنعيد - فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة - مملكة المسيح » ؟ (١) .

ويقول المستشرق الفرنسى « باتريك غيوم » فى مجلة « المستقبل » التى تصدر فى باريس :

« من المعروف أن الاستشراق ظهر فى القرن السابع عشر ، ومن المعروف كذلك أن مجال دراسة المستشرقين وقتئذ كانت أوسع جداً مما هى عليه الآن ،

---

(١) « التبشير والاستعمار فى البلاد العربية » للدكتورين مصطفى الخالدى ، وعمر فروخ ص ١١٥ - ١١٦ ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ ، وقد ولد عمر فروخ فى بيروت عام ١٩٠٦ وتوفى فى ١٩ يناير ١٩٨٨ عن أكثر من ستين كتاباً .

أقصد أنها أوسع بمعنى جغرافى فقط ، فكلهم أو أكثرهم كانوا يعرفون اللُّغات الفارسية والعبرية والهندية والتركية . . وبنفس الوقت كان مجال اهتمامهم أضيق مما هو الآن ، لأنهم كانوا يهتمون بالأدب والتاريخ كما كانوا يفهمونه آنذاك . . وهناك ظاهرة ثانية تتعلق بالإطار السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى نشأ الاستشراق فيه ، فهو قد نشأ فى نفس الوقت مع الإمبريالية والاستعمار ، وله إذن اتجاه سياسى ، وله وجهة نظر مسبقة عن الثقافات والحضارات الشرقية .

ولو لاحظنا تاريخ الأدب المقارن - الذى بدأ أوائل القرن التاسع عشر فى ألمانيا - لوجدنا أن له علاقة بتوسع الغرب السياسى والاغتصابى الذى وصل فى السبعينات من القرن التاسع عشر نفسه إلى معدَّل ٢٧٨ ألف ميل مربع فى العالَم ، ولقد حاول « إدوارد سعيد » أستاذ الأدب الإنجليزى والأدب المقارن بجامعة كولومبيا الأمريكية إبراز هذه العلاقات بين الظواهر من خلال تحليل النص الأدبى » (١)

* * *

(١) « الفيصل : العدد ٣٣ - ربيع الأول ١٤٠٠ هـ - ص ١٤

الاستشراق والسياسة

وقد صدر كتاب فى ثمانين صفحة للكاتب المغربى « سالم يغوت » بعنوان « حفريات الاستشراق » أو « اركيولوچيا المعرفة » ، وقد استهدف الباحث إثبات أن الاستشراق ليس عملية سياسية استعمارية ، وإنما هو تعبير عن مجال معرفى ، أو « ابستيمى » معين أفرزه الفكر الغربى فى مرحلة معينة ، ساد فيها الاعتقاد بضرورة هيمنة تاريخ واحد ، مثلما أضيفت فيها السمة الغربية على « التطور » أياً كان ، ويندرج ضمن ذلك المجال « التصور الماركسى » نفسه ، القائل بأن « الرأسمالية نظام إنتاجى لا بد أن يتوسع ليثور ، ويقوض أنماط الإنتاج السابقة على الرأسمالية فى أطراف العالم الرأسمالى ، إنها المركزية الأوروبية إذن ، ذات الأصول التطورية النزعة » (ص ١٦) .

● **فى أسبانيا :**

المستشرق الأسبانى « سانشيس البرنيث » أحد قادة الجمهوريين إبَّان الحرب الأهلية الإسبانية ، يزعم أن تأخر إسبانيا عن ركب الحضارة الأوروبية ناشىء عن دخول المسلمين وإقامتهم بها (ص ٤٢) .

* *

● **الماركسية وتناقضها السياسى :**

وقال سالم يغوت : الدليل على أن الاستشراق ظاهرة علمية ناشئة عن تمركز أوروبا حول نفسها فى فترة معينة ، هو أن « ماركس » و« إنجلز » ذاتهما أيدا غزو أمريكا للمكسيك سنة ١٨٤٩ ، وأيدا - قبل ذلك - احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ ، وفى الفترة نفسها عاب « ماركس » على روسيا الأوروبية تدخلها فى شئون بولونيا الأوروبية عام ١٨٦٣ (ص ٥٦ - ٥٧) .

* *

● ما الواقع ؟

الكاتب يتجه فيما يستشهد به إلى ما يخالف الواقع ، فليس صحيحاً تلك الدعوة الغربية القائلة « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » ، فكما أن ضوء النهار يبدأ مولده ومسيرته من المشرق ، فكذلك نور الحضارة ينبثق من المشرق متجهاً نحو المغرب ، ويظل فى الدوران كل من النهار والحضارة حتى يعود كل منهما إلى مشرقه . . ﴿ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) ، والجنس البشرى نفسه إنما كانت جذوره فى المغرب وتفرعت فروعه إلى أقصى المشارق والمغارب ، حتى قيل : « ما من كائن بَشرى إلا وأصله عربى ، أو أصله عربى يمنى » .

وهل عندما أراد الجنرال « فرانكو » (المتوفى سنة ١٩٧٥) القضاء على فساد الجمهورية فى أسبانيا اعتمد على غير المغرب العربى فى حركته التحررية مثلما اعتمد أجداده على طارق بن زياد وموسى بن نصير قبل نحو ألف عام ، وكما تعتمد أمريكا وانجلتراً - الآن - بل وكل بلاد أوروبا فى بنائها الذاتى والصناعى والعلمى على الذات الشرقية بلحمها ودمها ، وعقلها واقتصادها .

كما أنه ليس الغرب الأوروبى فى مجمله واحداً ، بل إنه عناصر فيها شىء من التمايز العنصرى : السكسكون ، والجرمان ، والتركمان ، والإغريق . . . وبين ذلك خلق كثير .

* *

● دمج الشعوب :

ظهرت بين المستشرقين دعوة إلى دمج شعوب المغرب العربى فى الحضارة الأوروبية ، ويُنسب ذلك إلى « كارلروفر » وهكذا ردد المطبوعون بثقافة الغرب ، - مثال الخديو إسماعيل : مصر قطعة من أوروبا ، وقال طه حسين : « يجب أن نأخذ كل ما فى الغرب مما نستحسن أو نستقبح ولا نتقى » لفلسفة يراها وراء رأيه .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٤٠

بعض العمليات السياسية الاستشراقية

● فى القضية الفلسطينية :

من خلال اللُّغة ، ومن خلال الفن والفلسفة والأدب والفكر والصحافة ، تتحرك كل قوافل الاستشراق لخدمة السياسة الاستعمارية الغربية ، التى تتبنى وجود كيان إسرائيلى أو جسم غريب فى هيكل البناء العربى . فما وقعت نكسة يونيه ١٩٦٧ ، حتى انطلقت حناجر المستشرقين المعنيين بالشرق العربى وحناجر تلامذتهم ، الذى يعيشون عالة على ما تخطه أقلام هؤلاء المستشرقين الأجانب ، يروجون للتعايش السلمى بين الذئب الإسرائيلى والحَمَل العربى ، أو إلى إيجاد ناد للصداقة العربية الإسرائيلية ، أو تعاون بين الذهب العربى والخبرة اليهودية ، أو إلى تحييد مصر عن كل شىء إلا المصلحة المصرية ، أو التفرقة بين الإسرائيلى والصهيونى ، أو بين عصابة « مناحم بيجين » ، وباقى العصابات الصهيونية التى اشتركت فى طرد العرب من فلسطين والاستيلاء على أموالهم وديارهم . .

وكل دعوى وراءها فلسفة تبررها . . ولها بالفكر الأجنبى الاستشراقى صلات .

❊ ❊

● « نيفل باربر » :

كان رئيس القسم العربى فى الإذاعة البريطانية ، وهو من أوائل مَن تنبئوا بما سيلحق بالعرب من الظلم فى حال تقسيم فلسطين ، وله فى ذلك كتاب « نيس دومينس » وقد عمل فى القاهرة مديراً لمكتب الإذاعة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٥٠

❊ ❊

● **تخطيط مشروع قناة السويس :**

قبل الحملة الفرنسية قدم إلى مصر مجموعة من الرهبان درسوا المشروع بكل أبعاده ، وحين جاءت حملة « نابليون بونابرت » إلى مصر عادت إلى دراسة المشروع ، وقررت خطورته من حيث إن ماء البحر الأبيض سيغرق مصر ، ثم أعيد النظر فى مشروع الرهبان واعتمد .

* *

● **الإلهاء بالمدائح النبوية :**

استغل الاستعماريون ما كتبه المادحون من المستشرقين - لمحمد ﷺ ولدينه - أعظم استغلال ، إذ جعلوا منه ملهاةً يشغلون بها المفكرين فى السياسة الإسلامية ، وخدَّروهم بالحديث عن هذه الأمجاد أو البطولات كيلا يفكروا فى الوسائل العملية لإنقاذ المجتمع الإسلامى من براثن المستعمر . . تماماً كما فى العصور الوسطى عندما نشرت قصص ألف ليلة وليلة ، والزير سالم ، وعنترة بن شداد ، وريا وسكينة . . . وغيرها مما يمتص طاقات المسلمين ويلهيهم بلذة ونشوة وقتيتين ، لا يفيق منهما المرء إلا ليبحث عن المخدر مرة أخرى .

* *

● **أدب الفخر بالإسلام :**

وقد نشأ أدب الفخر والتمجيد للإسلام ونبيِّه ورجاله فى القرن التاسع عشر ، وانتفع به الاستعمار فى إلفات المسلمين عن حاضرهم المرير ، وعن الخطوات العملية كالتربية والتجميع والتنظيم لحركة إسلامية عملية تتناول تغيير المفاهيم السائدة والمخدرة ، حركة تصرفنا عن التحديق الأبله لحضارات الغرب ومفاهيمه من شيوعية ، أو رأسمالية ، أو ديمقراطية ، أو غير ذلك من الشعارات والإيديولوچيات ، وعن التغنى المغرور أو البائس بذكر ما كان للآباء والأجداد . . إلى ما يجب علينا الآن ، وعلى عجل من تجميع للشعوب على فكرة عملية ، واتجاه بها فى طريق إنجازىّ .

وقد يثير المستعمر الصراع بين عشاق الماضى المعتزين به من المسلمين ، وبين الكافرين به المؤمنين بالغرب وبما فيه . . وفى دوّامة الصرع الذى يؤجج نارها المستعمر بين آونة وأخرى تتبدد طاقات هذه الأمة ، فتبقى شعوبها هزيلة كأنها خُشب مسنَّدة ، بل تُمسى آلاتٍ فى يد المستعمر يستغلها كما شاء .

* *

● **الجـــدل :**

وربما يثير المستعمر بعض القضايا ويُسخِّر الصحف والإذاعة وتلامذته الذين أَولاهم نعمته لنقاشها ، كقضية الشعر الجاهلى : أمنْحُولٌ [1] هو أم موثوق بمصادره ؟ وهل انتشر الإسلام بالسيف أم بالبرهان والاقتناع ؟ والإسراء بالروح أم بالجسد ؟ وهل انشق صدر النبى حقيقة ؟ . . .

ومن هذا القبيل ما أثير فى الندوات التى عقدتها الجامعة اليسوعية فى الكويت على لسان الأب « الأر » أو الدكتور « أسعد على » حول المساواة بين القرآن والإنجيل الحالى فى القيمة العلمية لمحتواهما ، ثم المساواة بين الملل ، ثم تفضيل الماسونية أو اللادينية على كل الملل ، إذ ينقل أسعد فى كتابه « فن المنتجب العانى » عن الشاعر الفرنسى « چان مارى » قوله : إن اللادين لا يعنى « ضد الدين » فهو فى الواقع درجة من الدين أعلى ، تنهدم فيها العقائد ، ويبقى من الدين خير ما فيه . . يجب أن نتخلص من كل تعصب دينى . .

ثم يقول أسعد على : « هذا اللادين - يعنى مرحلة هدم العقائد - هو الدين الحقيقى الذى أراده الله سبحانه وتعالى فى كتبه المنزَّلة » .

وعجباً لتلامذة المستشرقين أن يتصوروا ديناً بلا عقيدة ؟ إن البرَّ وهو اسم جامع لجميع معانى الخير يتمثل فى مثلث صاعد ، قاعدته العقيدة الصادقة وضلعاه العمل الصالح والخُلُق الفاضل .

---

(١) منحول : نظمه شاعر ونسبه إلى شاعر آخر كذباً .

بل ويهمز « أسعد على » - وهو الشيعى العلوى - فلاسفة المسلمين مثل ابن تيمية ، الذى هاجم الشيعة فى عصره حين لم ينهضوا لملاقاة الأعداء ، وذلك الاندفاع التعصبى من شر ما يُطعنَ به أى بحث علمى ، ولذلك نجد المستشرق الذى يحترم نفسه لا يتورط فى هذا كـ « نقولا زيادة » الذى أنصف ابن تيمية فى كتابه « دمشق فى عصر المماليك » إذ يقول :

« على أن الرجل الذى ارتفع إلى مستوى القضايا ، وحاول معالجتها بمعرفة وصراحة ومواجهة ألمعية هو ابن تيمية ، ولم تكن كتاباته هامة فحسب ، بل إن حياته كانت مثالاً يُحتذى ، فلم يكن يأبه بالصعاب متى اقتنع بأنه على حق ، ولقد ذاعت شهرة دروسه ، لا بين السُّنَّة فحسب ، ولكن بين الشيعة الذين حضروا دروسه .

« ولقد أثار على التصوف والتقليد حرباً عواناً جعلته يُعتبر مصلحاً ، أما بالنسبة لحرب المغول المسلمين ، فلقد كان موقفه واضحاً ، وهو يوجب محاربتهم لتصرفهم الوحشى مع المسلمين فى مدن العراق وشمال سوريا ، إذ وضعهم فى مصاف المجرمين ، ومن ثَمَّ فقد حق عليهم القتال .

« وكان أكثر مَن نصرهم من الشيعة ، ولم يكن ابن تيمية معجباً بهم ، لذلك رافق حملة أرسلت للهجوم على معاقلهم فى جبال سوريا ولبنان » .

ثم يقول : « وابن تيمية مثل حسن لتبين أثر العالِم المتين الخُلُق فى شئون الدولة والمجتمع ، وهو فقيه العصر غير منازع » .

كما يروج « أسعد » فى كتاباته أحاديث موضوعة يزعم أنها صحيحة ومتفق عليها وهى مكذوبة ، كقوله : « أنا مدينة العلم وعلىٌّ بابها » ، وكقوله : « رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وهو حديث قال فيه الحافظ العراقى : إنه قول مأثور لإبراهيم بن عبلة ، وهو ليس حديثاً .

* *

● **الفراغ العقلى :**

ويعمد المستعمرون إلى إيجاد فراغ عقلى فى البلاد الإسلامية والشرقية ليملأوه بما شاءوا حتى إن الأمريكان لينشرون الشيوعية التى يحاربونها - أحياناً - فى صورة من الصور - لتملأ قلوب المسلمين بشىء غير الإسلام ، كما يسهل على رواد الاستعمار والصهيونية بعد ذلك اقتلاع الشيوعية ذاتها التى أمست بديلاً للمفهوم الإسلامى ثم يُدخلون المسيحية مكانها ، أو على الأقل يزرعون الولاء لأمريكا . . فذلك حسبها . . وإنه لنجاح كبير أن تصل بهذا الأسلوب إلى أن تجعل من الناس عبيداً وتكون لهم إلهة ؟ . . . أن تجعل منهم خدماً وآلات وتكون لهم المدير المستغل . .

* *

● **لجان المتابعة :**

ومن أجل شغل المسلمين عن واجبهم العملى شُكِّلت لجانٌ لقراءة كل ما يُنشر لدى الشرقيين - وبخاصة كتابات الإسلاميين - ودراسته ، لتتبُّع اتجاهات الكُتَّاب وكشف المناخ الذى وُلدت فيه هذه الأفكار ، وتعرُّف المنطلق الذى تتوجه إليه ، ثم رسم الخطة لحربها بأساليب « الصَّرف والإلهاء » فى أكثر الأحيان ، أو بالسجون والإعدام حين لا تُجْدِى (١) وسيلة من وسائل الصرف والإلهاء والإغراء . . ولعلنا لم ننس كيف تخلَّص الاستعمار من شاب متفوِّق أنهى بأمريكا دراساته العليا واستعصى على عوامل الإغراء ، وظهر منه التصميم على أن يكون لبلاده ولعقيدته قبل كل شىء .

* *

● **بين الفخر والواجب :**

إن أدب الفخر بالماضى يقع تحت لافتة : « ماذا فعل الآباء ؟ وأدب الحسرة يقع تحت عنوان : ماذا كان عليهم أن يفعلوا ؟ وكل ذلك حياةٌ فى عالَم القبور .

---

(١) يجدى : يفيد .

أما الأدب الاجتماعى الناهض فيقع تحت لافتة : ماذا علينا أن نفعله فى عصر « الميكنة » وغزْو الفضاء ؟

إن القرآن وضع جذور النهضة العلمية حين نزل وفى أول سطر من دستوره « اقرأ » ، وحين دربنا على ترك التقاليد البالية ونقدها بالتأمل العلمى ، وحرَّم التقليد ولعن المقلِّدين : ﴿ أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) « وفرض علينا أن نتأمل كل ما فى الوجود وأن ننتفع به : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ . . ﴾ (٢) ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ (٣) .

وبينما انفتح إنجيل يوحنا - مثلاً - على عملية التجسيد ، انفتح القرآن على الجانب العقلى « اقرأ » ، والعلم يحتاج القدوة ، ولذا فرض الإسلام الأسوة الطيبة ورائدها رسول الله ﷺ .

* *

● المسح الاجتماعى :

يقدم المستشرقون للساسة فى بلادهم تقارير فى صورة مؤلفات . . أحياناً عن أخلاق وعادات البلاد الإسلامية ليُدرس أمرها عند غزوها ، فمثلاً : « إدوارد لين » (١٨٠١ - ١٨٧٦) ، وهو مستشرق إنجليزى قدم إلى مصر عام ١٨٢٥ للتضلع من العربية كتابة وحديثاً ، ثم عاد إليها فأقام بها من عام (١٨٢٣ - إلى عام ١٨٣٥) ، وأكب على درس الحياة فى القاهرة دراسة مباشرة ، وعاش عيشة المصريين فكان يلقبه أصدقاؤه بمنصور أفندى ، فما عاد إلى بلاده حتى نشر كتابه « أخلاق وعادات المصريين المعاصرة » عام ١٨٣٦ ، ونفدت طبعته الأولى بعد أسبوعين ، فأعيد طبعه مرات فى إنجلترا وألمانيا وأمريكا (٤) وقد انتفعت به هذه البلاد فى التعرف على عاصمة الشرق الأولى قبل القيام بغزوها .

* *

---

(١) البقرة : ١٧٠ (٢) يونس : ١٠١

(٣) الجاثية : ١٣ (٤) المستشرقون ص ٨٨

● **تأجيج الحقد فى الغربيين :**

عمد المستشرقون إلى تنمية احتقار الإسلام وزرع الكراهية له ولشعوبه فى نفوس الغربيين بأمرين :

١ - الشرح الخاطئ لتعاليم الإسلام ، والتعليل الكاذب لتاريخ الفتوح الإسلامية فى مؤتمرات أو أندية أو كتب أو صحف أو تمثيليات .

٢ - كتبَ الرحَّالةُ عن الواقع الإسلامى فى المجتمعات الإسلامية أسوأ ما رأوا ، وأضافوا الكثير إلى ما رأوا أو سمعوا من خرافات يكون من شأنها أن تعطى صورة عن الإسلام تشمئز منها النفس فتنصرف عن مجرد التفكير فى دراسته أو الاستماع عنه ، أو الرغبة فى التعرف عليه ، وتُظهر المسلمين فى صورةٍ أضعفُ ما فيها أنهم كالأغنام يجب اغتنامها فهى أعجز عن أن تقف موقف مقاومة .

* *

● **معامل ارتباط :**

ومن الملاحَظ أن الدول الاستعمارية يزدهر فيها الاستشراق بينما يقلُّ فى غيرها ، كما يُلاحَظ أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ويسير مع وزارة الخارجية جنباً إلى جنب مثل « بلاشير » و« ماسينيون » خبيرى وزارة الخارجية الفرنسية فى الشئون الإسلامية ، ومن الأسف أن تأثر بهم بعض الباحثين مثل أحمد أمين ، ومحمود أبو رية ، وعلى حسن عبد القادر . وقد اهتمت جامعة قازان فى روسيا بدراسة الإسلام والقرآن ليفهم الطُلاب على ضوء ذلك سياسة العالم الإسلامى وطبيعة أهله [١] .

وقد قال « لورانس براون » وهو مستشرق ومبشر : « إذا اتحدَ المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالَم وخطراً ،

---

(١) المستشرقون ص ١٢٧ والتبشير والاستعمار ص ٣٧

وأمكن أن يصبحوا نعمة لها أيضاً . أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة وتأثير » [١] .

وقال أيضاً : « الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع ، وفى حيويته . إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوروبى » [٢] .

وهكذا قال المستشرق الألمانى « بيكر » : « إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها » [٣] .

ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط حمايتها على مبشريها فى بلاد الشرق ، لأنها تَعُدُّهم حَمَلَةً لتجارتها وآرائها ولثقافتها فى تلك البلاد ، بل لقد كان ثَمة ما هو أعظم من هذا عندها ، لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التسلط الأجنبى كـ « سانجور » فى السنغال ، وكأحمد لطفى السيد الذى يسميه المصريون « أبا الجيل » - وبعبارة أصرح - خلق عملاء للاستعمار من المفكرين والقادة السياسيين ، يعملون فى رفق ودهاء وطبقاً لخطة مدروسة يُدَرَّب هؤلاء عليها ، على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية ، وعلى الاستخفاف بها باسم التجديد والتقدمية .

إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى ، كلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية والغض من اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع أواصر القُرْبَى بين الشعوب الإسلامية الحاضرة ، وازدرائها فى المحافل الدولية العالمية ، والتبشير والاستشراق فى ذلك سواء ، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث ، وادَّعى لبحثه الطابع

---

(١) الإسلام والإرساليات ص ٤٤ - ٤٨

(٢) المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى ص ٣٨

(٣) المرجع السابق ص ٣٨ نقلاً عن التبشير والاستعمار ص ١١٧

العلمى الأكاديمى ، بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة ، وهى العقلية الشعبية ، استخدم الاستشراق الكتاب والمقال فى المجالات العلمية وكرسى التدريس فى الجامعة ، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة ، أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للبنين والبنات على السواء . كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهر فى المشافى ودور الضيافة والملاجئ لكبار السن ، ودور اليتامى واليتيمات .

كما سيطر هؤلاء - بتلاميذهم - على أجهزة الإعلام ودور السينما ، فأشاعوا بها الفاحشة فى الذين آمنوا ، ليدمِّروهم خُلُقياً ، وزرعوا قيماً اجتماعية غير القيم الإسلامية ، من شأنها أن توجد أجيالاً وشعوباً منسلخة من مقوِّماتها الإسلامية والقومية ، تذوب أو تقترب أو تتجه وجهة غير الإسلامية ، شرقية أو غربية ، متخاصمة أو متنافرة مع القيم والمعايير الإسلامية .

وحسبك أن تعلم أن روّاد المسرح والسينما من الماسون واليهود والصليبيين ذوى الخبرة بالشرق والشرقيين .

وفى كتاب « العالَم الإسلامى اليوم » قال « صمويل زويمر » : « يجب أن يكون تبشير المسلمين بوساطة رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها ، ويجب نشر الكتاب المقدَّس بلغات المسلمين ، وإقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

وينبغى للمبشِّرين (المنصِّرين) ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة جهدهم فى التنفير بين المسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قديماً فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين وتحرير النساء » .

ثم قال - فى مؤتمر المبشرين الذى انعقد فى القدس - : « مهمتكم ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ، وإنما هى أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى : فلا تكون له صلة تربطه

بالأخلاق التى تعتمد عليها الأُمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم - بعملكم هذا - طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية .

« لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر الميلادى على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، وأعددتم فى ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ، فجاء نشءٌ لا يهتمُّ للعظائم ويحبُّ الراحة والكسل ، وهمُّه فى الشهوات .

ولم يفت التبشير والاستشراق استغلال دور النشر والطباعة والصحافة ، وإنما اتخذ كل وسيلة للوصول إلى غايته ، أعرف فى مصر داراً كبرى للنشر تستغل فى التصحيح الطُلاب النابهين فى اللُغة العربية ، وبهذه الدار مكاتب للمؤلفين ويتردد عليها المستشرقون باسم المعرفة والعلم ، ويتلقفون الملكات اللامعة فيوجهونها فى الكتابة التى تخدم أغراضهم ، ويتحمل المستشرقون عبء النشر والتوزيع ، وتوفير المراجع والدعاية ، فيصبح الشاب بين عشية وضحاها عَلَما فَذاً من كبار الكتاب والمفكرين ، إنها دول كبرى تحتضن امرءاً فقيراً طموحاً ذا ذكاء ، وليست مجرد مستشرق متسكع ، إنها الصليبية أو الصهيونية ، وإن شئت قلت : الاستعمار المغلَّف والجهالة المتعصبة ضد الإسلام تبنى كُـتَّاباً لها من بين علماء المسلمين !!

وكثيراً ما يقوم المستشرقون أنفسهم بالاشتغال بآداب العربية والعلوم الإسلامية ليعقدوا الموازنات بينها وبين الآداب الأجنبية ، وهم يفضلون أن يُلقوا بدراساتهم هذه إلى بعض شبابنا أو طالبى الرزق من كهولنا أو عُشَّاق الظهور بالآراء الشاذة . .والغاية التى يهدف إليها المستشرقون من هذه الموازنات هو أن يثبتوا لبنى الإسلام فضل الغرب المسيحى ، أو حتى الملْحد على العالم الإسلامى . وذلك ابتغاء خلق روح التخاذل والشعور بالنقص فى نفوس الشرقيين بعامة والمسلمين بخاصة ، ثم حملْهم - من هذا الباب - على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية .

إن حرب الإسلام أصبحت دون مدفع يُرهب إلا بمقدار - والأسلوب

الهادى المحمىُّ بتهديد المدفع المزمجر هو تشويهُ الإسلام ومحاولةُ إضعاف قيمته ، ثم تصويرُ المسلمين فى وضعهم الحالى بصورة مُزْرية بعيدة عن المستوى الحضارى فى عصرنا الحاضر (١) .

والمشتغلون بالتبشير والاستشراق قالوا فى صراحة : إنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية - أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر - ولقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة فى أكثر الأحيان ، أو بلا أجر فى أحوال نادرة (٢) .

وقد وجد فى سجلات شركة قنال السويس أنها كانت تخصص للتبشير فى الشرق الأوسط من ميزانيتها ثلاثة ملايين جنيه إسترلينى سنوياً (٣) .

كما أكرم العرب المستشرقين فأدخلوهم أعضاء فى المجامع العلمية واللُّغوية فاستغلوا الفرصة لبذر سموم خفيفة ومن النوع المركز .

وعندما أنشأوا المدارس الإرسالية والجامعات الأمريكية قَسَروا (٤) الطُلاب على الشعائر الدينية المسيحية ، ولما احتج طُلاب الجامعة الأمريكية المسلمون ببيروت على إدخالهم الكنيسة قسراً قيل لهم : هذه الكلية بُنِيت بأموال مسيحية لدعم تعاليم المسيح ، وعلى كل طالب التحق بها أن يعرف ماذا يُراد به أو يُطلب منه سلفاً .

ولقد أقنع المبشِّرون والمستشرقون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة للاستعمار الغربى فى الشرق ، وبذلك سهَّل الاستعمار لهم مهمتهم وبسط عليهم حمايته ، وزوَّدهم بالمال والسلطان ، وهذا هو السبب فى أن

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢٠٧

(٢) حقائق عن التبشير لعماد شرف ص ٣٢ - ٣٣ ، طبعة المختار الإسلامى .

(٣) المرجع السابق ص ٧٣ (٤) أكْرهوا .

الاستشراق قام - فى أول أمره - على أكتاف المبشِّرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار .

وأصبح التبشير عملية استعمارية واقتصادية بل وعسكرية ، بدليل أن الدول النصرانية جميعها فى الحرب العالمية الأولى كانت تعامل المبشِّرين التابعين للدولة المعادية لها فى المستعمرات معاملة المحاربين .

كما أن المبشِّرين نهضوا فور إعلان الحرب يجمعون المتطوعين لجيوش دولهم ، ويقومون بكل الأعمال اللازمة لنُصْرة بلادهم ؛ من جاسوسية . . إلى دعاية . . إلى غير ذلك .

ولهذا استأصلت إنجلترا وفرنسا المبشِّرين الألمان من البلاد التى كانتا تسيطران عليها [1] .

* * *

(١) حقائق عن التبشير ص ٥ ، ٦

مستشرقون عسكريون وسياسيون

وإليك قائمة ببعض الساسة المستشرقين وبعضهم من العسكريين أو المشتغلين بخدمة الجيوش الصليبية . فمن أشهر المستشرقين الساسة :

● **فى فرنسا :**

١ - « بوسكل » (١٥١٠ - ١٥٨١) : وهو نورماندى ألحقه « فرنسوا الأول » بسفارته فى تركيا ، فاشترى مخطوطات نفيسة ، ولما غضب عليه « فرنسوا » هرب إلى « القدس » وسوريا وغيرهما من بلاد العرب حتى شفعت له « كاترين دى مديسيس » فعاد إلى فرنسا أستاذاً للرياضيات فى جامعة باريس سنة ١٥٥١ ، وفى السنة التالية استدعاه « فرديناند الأول » ملك النمسا فعينه أستاذاً للُّغتين العربية واليونانية بجامعة « فيانا » فأوجد فيها الطباعة العربية ، ولكنه لم يطب له المقام بالنمسا فعاد إلى فرنسا حيث اتهم بالعصيان الدينى ، فسجن فى أحد الأديرة حتى مات فيه ، وهذه الصورة تعطينا أبعاداً عظيمة لشخصية رجل سياسى خطير .

٢ - « هانوتو » : هو المستشرق الفرنسى الذى أصدر « محمد عبده » رداً لمفترياته على الإسلام فجاء إلى مصر معتذراً . . وقد كان فى نفس الوقت مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية .

٣ - « هربلو » (١٦٢٥ - ١٦٩٥) : درس العربية فى باريس ثم ارتحل إلى إيطاليا واتصل بمدرستها ومطبعتها الشرقيتين ، وبالغراندوق « ناسكان فرديناند الثالث » الذى أكبره وأهداه مجموعة مخطوطات عربية ذات قيمة ، ولعلوِّ كعبه استقدمه لويس الرابع عشر وعينه أميناً لسره ، وأستاذاً للعربية فى معهد فرنسا .

٤ - « أ . دينيه » : فرنسى متعصب ضد الإسلام .

٥ - « دربلو » : فرنسى عاش فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، من مؤلفاته « المكتبة الشرقية » فى عدة مجلدات بالفرنسية ، وهو مرتب حسب حروف الهجاء ، ويبحث فى علوم الشرقيين ، وتاريخهم ، وخرافاتهم ، وآدابهم ، ونظمهم ، وسائر أحوالهم الاجتماعية ، وقد طبع للمرة الثانية فى عام ١٧٨٣

٦ - « جالان » (١٦٤٦ - ١٧١٥) : كان مرافقاً للمركيز « دى نوائتيل » سفير فرنسا فى تركيا سنة ١٦٧٠

٧ - « فرنسوى بتى دى لاكروى » (١٦٣٥ - ١٧١٣) : درس فى القسطنطينية ثم عين ترجماناً للملك .

٨ - « كيغر » (١٧٦٧ - ١٨٣٢) : ولد فى استراسبورغ ، وبدأ حياته بدراسة اللاهوت ، وفى سنة ١٧٩٤ وظف فى وزارة الخارجية ، وبعد سنتين أصبح أمين سر الوزير .

٩ - « ديكوروا » (١٧٧٥ - ١٨٣٥) : كان ترجمان الملك لدى السفارة الفرنسية فى القسطنطينية ، وله كتاب « علاقات فرنسا بالباب العالى » يدل على تغلغله فى السياسة ، وله « التشريع الإسلامى فى المذاهب السُنِّية والشيعية والحنفية » .

١٠ - « دى ساسى » (١٧٥٨ - ١٨٣٨) : انتخبته مقاطعة السين فى فرنسا عضواً فى الهيئة التشريعة ولقب بلقب « بارون » بأمر إمبراطورى سنة ١٨١٣ جزاء خدماته ، وألَّف فى ديانة الدروز جزئين ، وسقط ميتاً فى ٢١ فبراير سنة ١٨٣٨ قبل نشر الجزء الثالث ، ومن مؤلفاته « التشريع العربى الذى سبق مونتسيكيو فى كتابه روح الشرائع » .

١١ - « ج . موللە » (١٧٩٦ - ١٨٦٩) : صاحب كتاب الطبعيات لدى العرب ، عين ترجماناً لوزارة الخارجية ولقب بمترجم الملك الأول :

١٢ - « بلن » (١٨١٧ - ١٨٧٧) : تتلمذ لمرسيل الذى كان من

العسكريين ، وفى سنة ١٨٣٨ وظف فى المدرسة الملكية ثم نقل إلى إحدى السفارات المنشأة حديثاً ، ومنها نقل إلى مثل وظيفته فى « سالونيك » ثم إلى القاهرة ، ثم إلى القسطنطينية فرقّى إلى مرتبة القنصل .

١٣ - « شارل كلرمون جانو » (١٨٤٦ - ١٩٢٣) : عين ترجماناً ثم قنصلاً لفرنسا فى القدس والآستانة ويافا [١] .

١٤ - « باسه » (١٨٥٥ - ١٩٢٤) : عين قنصلاً لفرنسا بالجزائر فآثر التدريس ورأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام ١٩١٠

١٥ - « هيار » (١٨٥٤ - ١٩٢٧) : عين ترجماناً فى قنصلية فرنسا بدمشق سنة ١٨٧٥ ، ومنها نقل إلى سفارة الآستانة بمثل وظيفته سنة ١٨٧٨ ، ثم رقى قنصلاً بالسفارة ، وفى عام ١٨٩٨ استدعى إلى باريس وعين أمين سر ، ومترجماً ، فطار صيته فى وزارة الخارجية وانتدبته ليمثلها فى مؤتمرات المستشرقين ، وقد حاول إيجاد وجه شبه بين القرآن وشعر أمية بن أبى الصلت [٢] فهو قريب من « سڤارى » الذى زعم أن محمداً شاعر .

١٦ - « جان أرتوركى » (١٨٧٤ - ١٩٢٨) : عين - عقب اتمام دراسته - مترجماً فى القنصلية الفرنسية بدمشق ، فطرابلس الغرب ، فزنجبار ، ثم فى سفارة فرنسا فى الآستانة ، والقاهرة ، ثم عين قنصلاً فى زنجبار ، وطرابلس الغرب ، وأزمير .

١٧ - « سوڤير » (١٨٩٦) : عينته حكومة فرنسا قنصلاً لها فى سوريا ، فأقام فيها مدّة ساعدته على التضلُّع من اللُّغة العربية [٣] .

١٨ - « فرنان بروديل » (١٩٠٢ - ١٩٨٥) : هو أحد المؤرخين الفرنسيين ، وقد شكلت حضارات البحر الأبيض المتوسط مجال اهتمامه الحيوى إذ كانت

---

(١) المستشرقون ص ٦٢ - الطبعة الثانية .
(٢) المستشرقون ص ٦٥ - الطبعة الثانية .
(٣) المستشرقون ص ٦٦ - الطبعة الثانية

أطروحته فى رسالته للدكتوراة بعنوان « البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسط على عهد فيليب الثانى » نشرت فى ١٩٤٩ ، وعمل مدرساً للتاريخ فى الجزائر من سنة ١٩٢٢ - إلى سنة ١٩٣٥

وقد نشرت مجلة بيت الحكمة المغربية فى عدد إبريل ١٩٨٧ عنه دراسة مستفيضة تدور حول محاور ثلاثة :

١ - حوار حول التاريخ الجديد .

٢ - دراسة مطوَّلة عن التاريخ والعلوم الاجتماعية .

٣ - فجر المتوسط وتاريخ المتوسط فى دراستين .

وقد أعطى لمدرسة « الحوليات الفرنسية » نفساً جديداً سواء على مستوى التنظير ، أو على مستوى الكتابة التاريخية .

« كارادوفو » الفرنسى : مستشرق سياسى يقول : يجب دمج شعوب المغرب فى الحضارة الأوروبية ، فهو ممن كان تفكيرهم وراء فرنسة تونس والجزائر والمغرب .

« روجيه جارودى » : من أعلام المفكرين الفرنسيين المعاصرين الأحرار ، وقد أشهر إسلامه بعد أن كان ماركسياً ، وقد أصدر عدة كتب منها « البدل » ، « حوار الحضارات » ، « بشائر الإسلام » ، و« عود الإسلام » .

وقد قال : « إن مأساة الغرب اليوم ، سواء فى البلاد الرأسمالية أو الاشتراكية هى اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف إنسانى أو أخلاقى ، ولقد وجدت فى الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً يصلح لإخراج البشرية من ورطتها » .

دكتورة « ايفادى فينرى » : نائبة رئيس جمعية الإسلام والغرب ، حصلت على دكتوراة الدولة الفرنسية فى الفلسفة الإسلامية ، ولدت سنة ١٩٠٥ ولها نيف وأربعون كتاباً حول الإسلام والصوفية ، ووفقها الله إلى الحج والعمرة ،

ودرست بمعهد اللُّغات بالأزهر ، وبكت يوماً حين أرادت ترجمة كلمة من القرآن فوجدت الاستحالة لأن الكلمة لها دلالة لفظية وإيحاءات أعظم من أن يحيطها لفظ .

١٩ - « مرسيل » (١٧٧٦ - ١٨٥٤) : ولقد كان من قبله جده « جيوم مرسيل » قنصلاً لفرنسا فى مصر وأحد كبار المؤرخين ، وقد اختير « مرسيل » أستاذاً لولى عهد فرنسا ابن « لويس » سنة ١٨٢٩ ، فلما كانت حملة « نابليون » عين مترجماً بها تحت رعاية أستاذه « لانجل » السابق ذكره ، ثم عين مديراً للمطبعة التى لحقت بالجيش الفرنسى إلى مصر ، وقد كلفه « نابليون » بطبع جميع المقررات السياسية باللُّغات الشرقية الثلاث ، ثم عين مديراً لمطبعة الجمهورية ، ولا تكاد تجده إلا فى مكتبة .

٢٠ - « لويس ماسنيون » : وقد ولد عام ١٨٨٣ ، وتخرج من جامعة باريس - وحين نشبت الحرب العالمية الأولى اشترك فيها وكان أحد ضباطها ، ثم عين مترجماً ، وحين وضعت الحرب أوزارها ألحق بالمفوضية الفرنسية فى سوريا من نوفمبر سنة ١٩١٨ إلى فبراير سنة ١٩١٩ ثم مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال إفريقيا ، وأخيراً أميناً للمجمع العلمى المصرى سنة ١٩٢٩ ، وله مجلة للدراسات الإسلامية التى تتتبع أخبار الفرق الإسلامية والأزهر وكل النشرات الدورية والكتب .

٢١ - « ليڤى بروفنسال » : فرنسى ولكنه ولد فى الجزائر سنة ١٨٩٤ ، وتلقى تعليمه بها فتخرج من كلية الآداب وعين ضابطاً فى الشئون الإسلامية بمراكش ، وفى عام ١٩١٩ كلفه المارشال « ليوتى » بمهمة فى معهد الدراسات العليا المراكشية فى الرباط ، وعين أستاذاً فيه سنة ١٩٢٠ ، وكان مديراً للمطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية حتى عام ١٩٣٩ ، ثم انتدبته حكومته فى الجمهورية الفرنسية فى الفترة من (١٩٤٣ - ١٩٤٤) ، فى مهام خطيرة طار فيها بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق .

وقد كوفىء على بلائه فى الحرب وعلى جهوده فى الاستشراق بأوسمة رفيعة منها وسام جوقة الشرف [1] .

٢٢ - « ديلابورت » (١٧٧٧ - ١٨٧٦) : ولد فى باريس وتخرج من مدرسة اللُّغات الشرقية ، وقد صحب الحملة الفرنسية التى قادها « نابليون » ، ثم كان موظفاً بالقنصلية الفرنسية بطرابلس الشام ، ومات وهو عضو مجمع العلوم والفنون فى مصر .

٢٣ - « البارون دى ديما » (١٧٩٦ - ١٨٦٢) : ولد فى « نانسى » ودرس فى « باريس » فألّم بالعربية والتحق بالجيش فكان تحت إمرته (٢٠٠٠ر) جندى ، ومن مؤلفاته السياسية « حق فرنسا فى مسألة الشرق » ، وفى الدين ترجم إلى الفرنسية « أناشيد داود » شعراً .

٢٤ - « جيسْ » : قنصل فرنسا فى بيروت ، نشر فى مجلد بحثاً عن ديانة الدروز وتاريخهم .

٢٥ - « البارون دى سلان » (١٨٧٩) : وهو من أصل إرلندى وتجنس بالجنسية الفرنسية وعمل مترجماً فى وزارة الحربية ، وهذا العمل المدنى الصورة يصحبه ما يلزم مرافقى الجيش من تدريبات عسكرية .

* *

● **وفى إيطاليا من العسكريين :**

« قيصر لمبروزو » (١٨٣٥ - ١٩٠٩) : وهو يهودى التحق سنة ١٨٥٩ ليعمل طبيباً فى الجيش الإيطالى .

* *

---

(١) المستشرقون ص ٧١

● **وفى إنجلترا من العسكريين :**

١ - « فرانسيس جلادوين » المتوفى سنة ١٨١٣ - عمل فى جيش البنغال وعين مفوضاً مقيماً فى بتنا عام ١٨٠٨ [١]

٢ - « وليم فاسوليز » (١٨٢٥ - ١٨٨٩) : أرسل جندياً إلى الهند ثم صار من كبار الضباط عام ١٨٨٥ ثم صار ترجماناً لحكومة الهند ، ومحرراً بالتيمس الهندية .

٣ - « كوندر » (١٨٤٨ - ١٩١٠) : التحق بسلاح المهندسين الملكى البريطانى عام ١٨٧٠ - ومن آثاره العلمية : « طبوغرافية غرب فلسطين » فى سبع مجلدات [٢] .

٤ - « ريتشارد برتين » (١٨٤١ - ١٨٩٠) : تلقى تعليمه فى جامعة أكسفورد العربية ، ثم غادرها ليلتحق بالجيش البريطانى بالهند ، وفى عام ١٨٥٣ زار مصر والسويس ثم ذهب إلى الحج ، ثم عاد من الحجاز فيمم وجهه شطر مجاهل إفريقيا فكشف عن بحيرتى تنجانيقا وڤيكتوريا ، ثم رحل إلى دمشق بصحبة « إدوارد بالمر » ثم عاد إلى مصر ، وقام بمسح چيولوچى لأراضى لم تمسح من قبل .

٥ - « لورانس » (١٨٨٨ - ١٩٣٥) : منح رتبة مقدم فى الجيش وانضم إلى الثورة العربية وعمل فى سلاح الطيران الملكى [٣] .

٦ - « د . فيلوت » (١٨٦٠ - ١٩٣٠) : عقيد فى الجيش البريطانى ، له نصوص من كتاب « الجمهرة فى البيزرة » - لابن تشاجم ، نشره سنة (١٩٠٧) [٤] .

٧ - البروفسور « أندرسون » : رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها فى العالم الإسلامى ، ذلك القسم الذى أنشأته جامعة لندن بمعهد

---

(١) المستشرقون ص ٤٧٤ - الطبعة الثالثة .
(٢) المستشرقون ص ٤٩٣ - الطبعة الثانية .
(٣) المستشرقون ص ٥١١ - الطبعة الثالثة .
(٤) المستشروقون ص ٥٠٣ - الطبعة الثالثة .

الدراسات الشرقية التابع لها ، وقد تخرج من كلية اللاهوت فى جامعة كمبردج ، وكان من أركان حرب الجيش البريطانى فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية ، وهو لم يدرس من العربية إلا العامية التى كسبها بفضل المخالطة للمصريين ، ثم كان يأخذ درساً فى الأسبوع مدته ساعة لمدة عام . أى أنه قضى فى تعلم الفصحى ٥٠ ساعة فقط إلى جانب الاستماع لعدة محاضرات من الدكتور طه حسين وأحمد أمين والشيخ أحمد إبراهيم ، وهذه هى كل مؤهلاته التى أقعدته مقعد الأستاذية لأبناء المسلمين الوافدين إلى إنجلترا .

* *

فالاستشراق بهذه الصورة - التى يعمل فى إطارها سياسيون ومجندون تحت ألوية الحروب المشبوبة على بلاد الشرق والإسلام - لا يمكن أن يقال عنه إلا أنه سلاح من أسلحة الحرب الصليبية والاستعمارية .

* * *

الاستشراق فى إنجلترا

ومثل فرنسا نجد الاستشراق فى كل مكان من أوروبا ، ففى القرن الثانى عشر الميلادى زاد إقبال علماء أوروبا على الجامعات العربية لدراسة العلوم العربية ونقلها إلى لغات الفرنجة لنفس الأغراض التى ذكرناها فى صدر هذا الباب ، ولسنا بصدد التأريخ لرجال الاستشراق ، وكان حسبنا ما ذكرناه من الأمثلة عن المستشرقين الفرنسيين المشتغلين بأعمال سياسية ، ولكننا - لتكون الأدلة المادية على صدق الدعوى بلْجاء [١] - نذكر أمثلة أخرى عن الساسة المستشرقين فى دول أخرى ، وفى إنجلترا من هؤلاء :

١ - « جون سلدن » (١٥٨٤ - ١٦٥٤) : وقد لعب دوراً كبيراً فى الحياة الإنجليزية عامة ، وهو من السياسيين والمستشرقين [٢] .

٢ - « وليم موير » (١٨١٦ - ١٩٠٥) : وهو اسكتلندى امتاز بخدماته الجليلة للإمبراطورية البريطانية فى بعض المناصب التى تولاها فى الهند .

٣ - « ويلفرد سكاوين بلنت » (١٨٤٠ - ١٩٢٢) : من كبار السياسيين ، وقد استقر بمصر منذ عام ١٨٨١

٤ - « هنرى جيب » : عضو المجمع اللُّغوى فى مصر ، وكان يعمل مستشاراً فى وزارة الخارجية البريطانية .

٥ - « د . ميخائيل جلستان » : وهو مستشرق بريطانى معاصر ، أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة أكسفورد . التقى بالطريقة الحامدية الشاذلية وعاش معها ثلاثة أشهر ، وكتب عنها رسالته للدكتوراة ، وهو الآن يحاضر عن مبادئ هذه الطريقة وآدابها بجامعة أكسفورد إذ أنه يعدها نموذجاً للطرق الصوفية فى مصر [٣] .

---

(١) أى شديد الوضوح .

(٢) المستشرقون ص ٤٦٥ - الطبعة الثالثة .

(٣) جريدة الأهرام فى ٢٦/ ٤/ ١٩٧٨

٦ - « البروفيسور بيير كاكيا » : هو إنجليزى معاصر ويعمل أستاذاً بجامعة كولومبيا بنيويورك . وقد عاش فى مصر ما يقرب من ربع قرن تأثر خلاله بالأدب العربى ، ورأى مجد أحمد شوقى وحافظ إبراهيم ، وقد حضر مهرجان « أمير الشعراء شوقى وشاعر النيل حافظ إبراهيم » بالقاهرة فى أكتوبر ١٩٨٢ م (ذى الحجة ١٤٠٢) هـ .

٧ - « د . مارتن هاينز » البريطانى : أصدر سنة ١٩٨٨ بالاشتراك مع الدكتور حمدى السكوة قاموس العامية المصرية ولوحظ فيه - إلى جانب اللُّغة - أن يكون مصدراً ثرياً لكافة أشكال الحياة الثقافية فى مصر وذلك لاختلاف وتنوع الألفاظ المستعملة بين الطبقات الاجتماعية .

٨ - « تشارلز جلاس » : صحفى أمريكى يجيد العربية والإنجليزية والفرنسية هرب من مخطفيه فى بيروت فى أحداث أواخر الثمانينات ، وذهب إلى سوريا ، وهو من أصل لبنانى فجدته من الأم لبنانية ، وكان من المعتقلين معه « تيرى ويت » .

٩ - « البروفيسور فرانز شيرمان » : أستاذ التاريخ والعلوم الاجتماعية بجامعة كاليفورنيا فى « بيركلى » ، وهو كبير محررى وكالة أنباء الباسفيك ، وأحد مؤسسيها . زار اليابان وتحدَّث عنها فقال : المبانى متشابهة وبخاصة فى طوكيو وفى يوكوهاما الصناعية ، والمواطنون يبتعدون عن الحِرَف التى لا تدر دخلاً ، ولقد طلب يوماً من إسكافى أن يلمع له حذائه ، فاعتذر لأن عمله أن يصلح أحذية . كما يحترم الناس نظام المرور ، وتهتم الصحف بالتكنولوچيا والأخبار الحزبية وأخبار الناس ليكونوا معهم .

١٠ - « بيتر مانسفيلد » الإنجليزى : له كتاب « العرب » ابتدأ فيه جولته من التاريخ القديم قبل الإسلام ، وطاف مع العرب فى كل مواقعهم وكبريات معاركهم فى فارس والأندلس ، وغابات إفريقيا ، وتناول سقوط بغداد فى أيدى التتار ومقتل الخليفة العباسى ومعه ثمانمائة ألف من السكان الآمنين تتراكم

أشلاؤهم فى شوارع بغداد عاصمة الرشيد ، ويرى الغرب وهو يبدأ هجمته الأولى الشرسة ضد العرب ، فتسقط طليطلة فى أيدى كاثوليك أسبانيا (عام ١٠٨٥م) ، والقدس فى أيدى الصليبين (٢٥ يوليو ١٠٩٩م) وغرناطة لؤلؤة التاج (٣ يناير ١٤٩٢م) . . ثم تبدأ صحوة الإسلام بالحركة الوهابية فى جزيرة العرب ، فالبعث الإسلامى الإخوانى الذى امتد من مصر وكان دم الشهيد « حسن البنا » هو الشرر الذى امتد إلى العالمين وأخرجه فى مسلسل فيديو « كوهين يوك » و« چون دانلوب » .

١١ - « مرجليوث » (١٨٥٨ - ١٩٤٠) : هو « ديفيد صمويل مرجليوث » ولد فى إنجلترا عام ١٨٥٨ ، وعاش ٨٢ سنة إذ توفى سنة ١٩٤٠ ، وكان أول نشاطه العلمى عام ١٨٨٧ حيث ترجم « متى بن يونس » لكتاب من الشعر لأرسطو ، ثم كتب بحثاً عن أوراق البردى العربية فى عام ١٨٩٣ . يوجد فى مكتبة « بودلى » بأكسفورد .

وفى سنة ١٣٩٤ هـ ترجم جزءاً من تفسير البيضاوى إلى الإنجليزية ، وفى عام ١٩٢٠ ترجم جزءاً من كتاب تجارب الأمم لمسكويه ، ثم نشر رسائل أبى العلاء المعرى عام ١٨٩٨ ، ثم نشر معجم الأدباء لياقوت الحموى فى الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩٢٧ ، كما نشر نشوان المحاضرة للتنوخى فى عام ١٩٢١

ويبدو تعصبه فى كتابته عن الإسلام وخروجه فى ذلك عن المنهج والتحقيق العلمى ، ويتضح ذلك فى كتابه « محمد ونشأة الإسلام » الذى نشره عام ١٩٠٥ ، وكتابه « الإسلام » الذى سماه « المحمدانية » ونشره عام ١٩١١ ، كما يبدو فى كتابه الذى نشره فى عام ١٩٢٤ عن العلاقات بين العرب واليهود حتى ظهور الإسلام .

ولكن لعل أبرز ما أشهره بين العرب مقاله « أصول الشعر العربى » يعنى الشعر العربى الجاهلى ، وقد قرأ عن ابن سلام الجحمى وآخرين أن بعض رواة الشعر انتحلوا على الجاهليين بعض أبيات أو قصائد يعرفها حُفَّاظ الشعر ورواته العارفون متى وفيم قيل ؟ ولكن « مرجليوث » أخذ هذا التحقيق

والتنبيه ، وزعم أن الشعر الجاهلى كله منحول ، وسقط فى هذه الخطئة طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » الذى أصدره عام ١٩٢٦ بعد نحو عام من ظهور مقالة « مرجليوث » المعروف بتهجمه على الإسلام فى أوائل القرن العشرين ، وتبعه فى ذلك مدافعاً عنهما عبد الرحمن بدوى ، وظهرت ردود على هذا التوجه من علماء المسلمين والمستشرقين أيضاً ، فقد كشف المستشرق « بروميولش » أخطاء « مرجليوث » فى بحث بعنوان « فى مسألة صحة الشعر الجاهلى » ، وهكذا قام المستشرق « أربرى » فى كتابه « المعلقات السبع » بتلخيص أدلة « مرجليوث » ونقضها عليه . وكان ممن ردوا على مقال طه حسين : محمود محمد شاكر ، والدكتور محمد مصطفى هدارة .

١٢ - الدكتور « روبرنز » : إنجليزى له كتاب « القوانين الاجتماعية فى القرآن » .

١٣ - « برنارد لويس » : إنجليزى : عمل أستاذاً بجامعة لندن ، وله « العرب فى التاريخ » .

١٤ - « إيلى خدورى » .

١٥ - « بى . چيه . فاتيكوتيس » .

والثلاثة الأخيرون يكسبون عيشهم كأساتذة جامعيين ، يتخذون الإسلام والحضارة العربية موضوع اختصاص لهم ، بينما يجرى استخدام الصهيونية لهم - فى الوقت ذاته - لإفهام العالَم الناطق بالإنجليزية أن الإسلام من العوامل المساعدة على إفراز اللاسامية ، والإرهاب ، والطغيان .

وهذا الإرهاب مقصود به دفاع الفلسطينيين عن ديارهم ، والليبيين عن حقوق بلادهم ، والعراقى فى تطوير بلاده التقنى ، بينما ما يذاع عن الإرهاب الموجه من أمريكا ضد العرب فى أراضيهم لا يُذكر عنه شىء ، كما لا يذكر ما يجرى داخل أمريكا من الإرهاب العنصرى .

وثَمَّ كتاب « الإرهاب . . كيف يمكن للغرب أن ينتصر » ألقيت معظم بحوثه فى معهد « جوناثان » بواشنطن لدراسة الإرهاب ، ألفه « بنيامين نتنياهو » سفير

إسرائيل سنة (١٩٩٠) بالولايات المتحدة الأمريكية ، وشقيق « جوناثان نتنياهو » الذى باسمه المعهد ، والذى قتل من بين فرقة الكوماندوز الإسرائيلية التى أغارت على « عنتيبة » فى يوليو (تموز) ١٩٧٦

وفى هذا الكتاب بحوث لأولئك المستشرقين الثلاثة : « برنارد لويس » ، و« إيلى خدورى » ، و« بى . چيه . فاتيكوتيس » .

١٦ - « بالمر » : حقق ديوان البهاء زهير المكى القوصى ، كما أصدر ترجمة كاملة له فى جزء مستقل ، وصدر الجزءان فى كمبردج عام ١٨٧٦ (١) .

١٧ - « برلاند لويس » : مستشرق إنجليزى ، يعمل فى الأوساط السياسية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧ الإسرائيلية المصرية ، ورغم أنه متقاعد ، فإنه يعمل الآن (عام ١٩٨٩) أستاذاً بجامعة « برينستون » ويتضح فى أعماله التشكيك والتشويه لأخبار العالم العربى ، وهو يركز على أن العالم العربى والإسلامى فى صحوته الحاضرة يهدد دول الغرب وحضارتها .

ومحور دراساته الاستشراقية هو القضايا المعاصرة مثل الصراع العربى الإسرائيلى ، فهو يعطى لهذه القضايا أبعاداً استشراقية ، ولكن حسَّه الأدبى والنقدى ليس متطوراً وإنما يشوب الابتذال قراءته للنصوص .

وهو يدَّعى أن كتاب « الاستشراق » لإدوارد سعيد توصية للسلطة الأمريكية بإصلاح سياستها فى الشرق الأوسط ، رغم كونه معارضاً للسُّلْطة (٢) .

١٨ - « كريستوفر سكيف » : عمل أستاذاً فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وجاسوساً محترفاً فى وزارة المستعمرات البريطانية ومنصِّراً ثقافياً ، وكان عدواً مبيناً للعروبة والإسلام (٣) .

---

(١) مجلة الفيصل فى (ربيع الأول ١٤٠٠ هـ) ص ١١٣

(٢) الدكتور إدوارد سعيد فى محاضرة له بالجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مارس ١٩٨٩

(٣) أحمد عبد الغفور عطار : الزحف على لغة القرآن ص ١٠٩

١٩ - « نيقيل باربر » : عمل بالقاهرة عدة سنوات مديراً لمكتب الإذاعة البريطانية إبَّان الحرب العالمية الثانية ، ثم فى عام ١٩٥٠

٢٠ - « أربرى » : وهو « بروفسور » فى مدرسة الدراسات الشرقية الإفريقية بلندن ، وقد أشرف على رسالة توفيق الحكيم ، عن أدب المهجر .

٢١ - « هاملتن جب » كان أستاذاً فى جامعة أكسفورد ، وقد نشر سنة ١٩٢٨ سلسلة مقالات بعنوان « دراسات فى الأدب العربى الحديث » بمجلة مدرسة اللُّغات الشرقية .

٢٢ - « غيوم » : له كتاب « تراث الإسلام » ، وهو أستاذ بجامعة كمبردج .

٢٣ - « سارجنت » : بجامعة كمبردج - اهتمامه بجنوب جزيرة العرب واليمن وحضرموت وعدن .

* * *

بيان بعض الهيئات الأجنبية
القائمة بالتبشير المسيحى

يوجد فى العالَم أكثر من خمسة آلاف مؤسسة تبشيرية (تنصيرية) توجهها دول الغرب المسيحى لغزو العالم الإسلامى الآن .

وفى أندونيسيا وحدها أكثر من ٢٥ هيئة كبيرة تقوم بالدعوة إلى النصرانية بين المسلمين وغيرهم ، ومنها :

١ - خدمات المعونات الكاثوليكية : وتشتهر باسم « كاثوليك ريليف سرفيسز » ومركزها الرئيسى جاكرتا ، ولها ممثل إقليمى ، كان يوماً هو القس أيوجيه س . م .

وهذه الهيئة تقدم معونات تُشرف عليها عدة لجان مثل لجنة قطاع الأغذية ، ولجنة المنتجات الزراعية ، وقطاع الشئون الصحية .

وتقوم الحكومة الأمريكية بتقديم المواد الغذائية لها ، بينما يقوم مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية بتقديم الأدوية والمستحضرات الطبية ، وتتولى أسقفية أندونيسيا مهمة النقل الداخلى ، وقد بدأ نشاط خدمة المعونات الكاثوليكية عام ١٩٦٢ .

٢ - مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية : ويشرف على مستشفى « البابتسست » فى « جاكرتا » بجاوة .

٣ - مجلس اتحاد الكنائس الأندونيسى : وعنوانه جاكرتا ص . ب : ٥٢

ويقوم بتقديم معونات غذائية إلى ٩٩ ألف شخص ، وبمعونات آلية ، وتكنيكية لبعض مشروعات التنمية الاقتصادية . سواء فى قطاع الزراعة ، أو قطاع الصناعة .

وتدل إحصائية مجلس الكنائس فى أندونيسيا لطائفة « البروتستانت » على

أن عدد الكنائس البروتستانتينية - حتى عام ١٩٧٢ - قد بلغ ٩٣٫٢١٢ كنيسة ، والقساوسة ٢٣٩٧ قسيساً ، والمبشرون بالنصرانية ٦٥٠٤ مبشراً [١] .

٤ - لجنة « ميويلت » المركزية بجزيرة تيمور : وتقوم بالتدريبات الزراعية ، ويساعدها مجلس اتحاد الكنائس الأندونيسى .

٥ - إرسالية الآباء « كرتوسير » : أو « كروسير فادنرس » ومجال نشاطها فى إيريان الغربية ، ومقرها مدينة إجاش ويتبعها قطاع للتعليم الفنِّى وقطاع للمعدات والمساعدات المادية ، وقد بدأ تنفيذ برنامج الهيئة بإنشاء المدارس فى عام ١٩٥٧ .

وتدير الإرسالية عدداً من المدارس فى مقاطعة « اسمات » يتعلم بها حوالى ٢٩٠٠ تلميذاً ، كما تقوم ثلاث راهبات بتعليم التدبير المنزلى فى « إجاش » لأربعين طالبة .

٦ - هيئة كنيسة « إيڤا نجليكال كوفينات الأمريكية » : وهى هيئة تدين للكنيسة الإنجيلية الأمريكية بالولاء ، ومقرّ إدارتها « مانادو » - بمقاطعة « سولاويس » الشمالية ، وتقوم بأعمال التنصير فى صورة نشاط طبِّى ، فلها ١٢ عيادة طبية ومستشفى ولادة ، كما يقوم بعض رجالها بالتدريس فى المدرسة الطبية بمدينة « مانادو » .

وتتعاون معها كنيسة « إنجيلى » ، وكنيسة الأخوة بأمريكا الشمالية ، وقد بدأ نشاط هذه الهيئة سنة ١٩٥٧

٧ - هيئة « جرايل » فى جاوة : وهى تؤدى نشاطها منذ عام ١٩٦٢ من خلال ما يسمى « التربية الاجتماعية » ، ومن خلال مخالطة طُلاب جامعة « عاجاه مارا » ، وعن طريق دعم مكتبات الطُلاب بالجامعة وغيرها .

ويشارك الطلبة الأمريكيون الذين يدرسون فى أندونيسيا فى نشاط الهيئة بإعداد المكتبات ، ومراكز الإعلام وقاعات المطالعة .

---

(١) المجتمع : العدد ٢٤٩ - ١٣ مايو ١٩٧٥

٨ - جمعية « منونيت » المركزية : ومقرها جاوة ، وعنوانها البريدى « جالان بنجاوى » ص . ب : ٤٨ ، ونشاطها فى الشئون التربوية ، بتقديم المنح الدراسية ، وإدارة مراكز للتدريب ، والتعاون بين الجامعات والمختبرات والمعامل والمجتمع ، كما يتبعها قطاع للشئون الصحية ، يأخذ صورة المعونات الزراعية الطبية ، وتتعاون معها هيئة خدمات الكنيسة العالمية .

٩ - كنيسة « الميتو ديست » : تقع فى سومطر - جالان هانج تواه - وتساعد عشرات المدارس الابتدائية ، ورياض الأطفال .

١٠ - إرسالية الصداقة للطيران « ميشونارى أفيشن فيلوشب » ومقرها : ايريان الغربية . سنتانى ، وقد أعدت خمس طائرات فى السبعينيات تتسع كل طائرة لستة ركاب وطائرة أخرى تُقِلُّ أربعة ركاب ، وطائرة أخرى تُقِلُّ ثمانية ركاب ، وذلك لنقل المنصِّرين إلى الأماكن النائية .

وتمتلك هذه المؤسسة شبكة مواصلات لاسلكية لتنسيق أعمال الإرساليات ، وللاتصالات السرِّية الضرورية ، كما تتبعها مطارات فى (سنتانى - نابير - وامينا - بوكنديدنى - باواساكور) .

١١ - دار للنشر : تسمى « كوميشيان وورلد ليتراسى آند كريشان ليتروتشر » وتنشر هذه الدار - سنوياً - خمسين كتاباً فى مختلف الموضوعات للأطفال فى كل مرحلة ، وقد تم تدريب عدد من التايلانديين والفيلبيين على القيام بالشئون الفنية الخاصة بنشر الكتب الدينية ، بمعرفة المستشرقين المهرة ، وتتعاون هذه الهيئة مع مجلس الكنائس العالمى الألمانى ، ومع مجلس الكنائس الهولندى .

بينما طلب المجلس الأعلى الأندونيسى للشئون الإسلامية ، مصاحف باللُّغة الأندونيسية من الدول العربية ، فلم يصله من الدول العربية سوى (١٤٠٠) نسخة فقط حتى عام ١٩٧٥

١٢ - اتحاد المؤسسات التعليمية التربوية بأندونيسيا : ويقوم بالمساعدات التعليمية على المستوى الجامعى ، والتعليم العالى .

١٣ - « كريستيان ميشونارى ألايتز » : ويقع نشاطها فى إيريان ، وقد أسست عدة مدارس ابتدائية .

١٤ - جيش الخلاص ، ومقره : جاوة - باندونج - جالان جاما : ويقدم إلى المنظمات العالمية المشتغلة فى حقل التنصير ما تحتاج إليه من الرجال والأموال ، وعلى رأس هذه المنظمة الكولونيل « أ . كوربورتى » - وتقوم بالتنصير عن طريق النشاط الصحى ، والرعاية الاجتماعية ، بإقامة الملاجئ ، مثل ملجأ « سورابايا » ، ومثل مستعمرة المشرَّدين فى « سيارانج » ، ومثل بيت الفتيات فى سومطرة .

١٥ - وهناك مؤسسات أخرى تقوم بعملها التنصيرى عن طريق الخدمات الطبية للمستشفيات التابعة للهيئات التنصيرية ، منها الجمعيات المشهورة باسم « مؤسسة المعونة المباشرة » وتتعاون معها هيئة معونة « لوثر » العالمية التى بدأت نشاطها عام ١٩٥٦ ، وفى شئون النقل البحرى : منظمة المعونة العالمية .

١٦ - هيئة الأدوية لأندونيسيا : وتقدِّم اللَّبن المجمَّد لتلاميذ المدارس الابتدائية ، والمعونات الطبِّية لمشافى الإرساليات التنصيرية ، ويوجد واحد من هذه المستشفيات التنصيرية بجزيرة كاليمنتان الغربية ، وهو مزوَّد بكل شىء حتى بمطار خاص ، وكذلك يوجد مستشفى على بُعْد ٥٠ كم من « سامنكا وانغ » - ثم مستشفى للبابتست مجهز بكل شىء حتى المطار الخاص .

وحاول المسلمون إقامة مستشفى مماثل على ثمانى مراحل منذ عام ١٩٦٩ ، ولم يتم سوى مرحلتين حتى عام ١٩٧٥ ، ويلاحظ أن كل هذه المؤسسات الضخمة قامت بعد اعتقال جمال عبد الناصر للإخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤ ثم أكتوبر ١٩٥٤ ، وقد ترسمت هذه المؤسسات خُطَى الإخوان فى التعليم والمستوصفات والرعاية الاجتماعية والدعوة بالمقالة المكتوبة والمسموعة .

* *

● **فى السنغال :**

عمل الاستعمار الفرنسى على سلب السنغال مقوِّمات الحياة ، ثم أخذ يُلقى الفتات للفقراء من أهل السنغال فى صورة معونات غذائية ، من الأرز والسمن والدقيق ، ويشترط لذلك أن تتنازل الأسرة المحتاجة إلى المعونة عن أحد أطفالها للكنيسة ممن لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، لتربيته فى مدارسها حتى الجامعة ، ثم تمنحه الجنسية الفرنسية ، ليعود إلى السنغال - وله امتيازات الفرنسى الحاكم ، ويُكتب عقداً بهذا يُنص فيه على إلزام الأسرة دفع المعونات التى تسلمتها إذا هى طالبت بطفلها قبل أن يتم تنصيره وتعليمه الجامعى .

* *

● **مبادئ البانتشا سيلا « ميثاق الطوائف الدينية » :**

نظراً لاستعلان حدة العمل التبشيرى المثير للمسلمين ، فقد عُقِد فى نوفمبر ١٩٦٧ اجتماع بين ممثلى الديانات الكبرى بأندونيسيا ، التى يمثل السكان المسلمون فيها ٩٠ ٪ بينما الباقون خليط من النصارى والبوذيين والهنادكة والكونفوشيوسيين والكيباتينان - أتباع الكيرتشيان . وهم فرقة باطنية تسمى « الميستيك » ، ومذهبهم خليط من الإسلام والصوفية الهندوكية والبوذية والفارسية .

وأسفر الاجتماع عن قرارات سميت « مبادئ البانتشا سيلا » وهى تقرر أن لكل إنسان حق التدين ، ولكنه لا يعنى تنصير المسلمين ، وحسب النصارى أن يدعوا لدينهم بين الوثنيين ، ولكن النصارى لم يستجيبوا لهذا القرار ، وقالوا : إننا لا نستطيع أن نُحلَّ أنفسنا من واجب القيام بالأمر الإلهى الذى يأمرنا بأن

ننشر الإنجيل فى كافة أنحاء المعمورة ، دون استثناء منطقة أو جماعة من الجماعات ، واعتبروا التبشير حقاً من حقوق الإنسان المعاصر .

* *

● تعاون المستشرقين مع الشيوعية :

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن واجهت هولندا حركة إسلامية وطنية تعارض التسلط الاستعمارى الصليبى ، وعجزت هولندا عن مواجهة المد الإسلامى التحررى الذى بلغ غايته عندما تأسست أول منظمة إسلامية « شركت داكنج إسلام » .. وظهرت العلاقات الطيبة بين مسلمى « اتجه » وسلطانها وبين كل من سومطرة والخلافة العثمانية .

واستقر تفكير ساسة هولندا على تجنيد المستشرق الهولندى « ستوك هوروجونجى » لدراسة خطة تعجز الحركة الإسلامية عن المسير إن لم تقتلها ، وهبط المستشرق « سنوك » على أرض سلطنة « اتجه » مركز التأثير الواسع على الحركات الإسلامية ، يدرس الأمر على الطبيعة ثلاث سنوات ، ونشر تقاريره فى كتاب سماه « اتجه » ، أشار فيه إلى نقط الضعف التى اكتشفها فى المجتمع الإسلامى والحركات الإسلامية فى أندونيسيا ، وقال : إن هذه الحركات لا يمكن ضربها من الخارج والقضاء عليها بقوة الجيش واعتقال زعمائها وإلغاء نشاطها ، إذ أن العقيدة الإسلامية متمكنة من نفوس المسلمين ، ولهذا وجب أن يكون الاتجاه إلى ضربها من الداخل عن طريق زرع بذور الخلاف فى صفوفها ، وتشكيك القائمين عليها ، وتوريد آراء وعقائد جديدة إلى المنطقة . وأهم هذه الآراء نشر التيار القومى والتيار الماركسى

فعن طريق القومية تنحل الروابط بين « اتجه » و« سومطرة » ، أو بينها وبين

---

(١) ذوى معتقدات باطنية تسمى « الميستيك » وهى خليط بين الإسلام والصوفية الهندوكية والبوذية والفارسية .

« تركيا » ، وبينها وبين كافة القوى والشعوب الإسلامية ، كما تضعف قوة اندفاع الحركة الإسلامية العالمية بشل الحركة فى أندونيسيا .

أما التيار الشيوعى فهو كفيل ببث الإلحاد ، ونشر الفساد ، وشغل الوطنيين بمحاربته وبهذا ينشغلون عن قبضة هولندا ومؤسساتها ، فلقد أصبح من المخططات لإلهاء الشعوب عن السياسة المستبدة أو الاحتلال وألاعيبه إيجاد تيار شيوعى ، أو تيار خُلُقى منحرف ، تنشغل به الرعايا عن التفكير فى غيره ، ثم التظاهر بعدم الرضا عن هذه التيارات المنحرفة وضربها ضربات تخدرها وتعجزها . . ولكنها ليست ضربات قاضية ولا مميتة .

ولتنفيذ هذا المخطط استعانت هولندا الصليبية بالمهندس المعمارى الماركسى « سنيفليت » عضو الحزب الاشتراكى الديمقراطى الهولندى للقيام بتنفيذ الجزء الذى يخصه من تقرير المستشرق « سنوك » ، وسهلت السلطات له كل السبل التى تكفل له النجاح . . وأمدته بشخصية شيوعية أخرى تؤازره ، فأبحر إلى أندونيسيا من هولندا الشيوعى المهندس « بارس » ، ثم تم الاتصال بالمركز الشيوعى « الكومنترن » عن طريق الحزب الشيوعى الهولندى .

وفى سنة ١٩١٧ « أنشئ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الهولندى بأندونيسيا » . . وفى سنة ١٩٢٢ تحولت جماعة « شركت إسلام » إلى حزب سياسى « حزب شركت إسلام » لمضاعفة قدرة العمل على مجابهة الشيوعية .

وعندما انهارت قوات هولندا فى أندونيسيا عند الهجوم اليابانى على شرق آسيا عام ١٩٤٢ صدر مرسوم يابانى فى إبريل ١٩٤٢ بحل جميع الأحزاب بما فيها حزب « شركت إسلام » ، وشاء الله أن تنهزم اليابان فتستسلم فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥ فتنتهز أندونيسيا الفرصة لإعلان استقلالها ، وانتخب « أحمد سوكارنو » أول رئيس للجمهورية ، فكان أول رسالة أرسلها إلى « ستالين » هى تهنئة بذكرى ثورة أكتوبر قال فيها : « إننا نؤيد الاتحاد السوفييتى لأنه يحارب من أجل العدالة ، ويستهدف دوماً هدفاً شريفاً » ، وكان آخر ما قاله

بصفته رئيساً للجمهورية فى خطابه بالحفل الختامى للمؤتمر الشيوعى : « إننى ماركسى ، وأفتخر بذلك ، إننى أومن بالفلسفة المادية للتاريخ . فالمادية التاريخية علم وقاعدة وطريقة لمعرفة الحقائق والوقائع التاريخية .

« إن الشعوب التى تعيش بصورة بدائية على الزراعة تكون بطبيعة الحال محتاجة إلى دين تؤمن به ، وإلى إله تتوجه إليه ، ولكن متى وصلت هذه الشعوب إلى مستوى عصر الآلات والميكانيكا ، فإنها لا تحتاج إلى دين أو إله تؤمن به » .

وبعد بضعة أيام وفى الأسبوع الثالث من سبتمر ١٩٦٥ غادرت البلاد إلى بكين مجموعات من الشخصيات الهامة للاشتراك فى حفلات أول أكتوبر ، وهذه المجموعات تمثل :

١ - بعثة الأكاديمية الجوية .　　٢ - بعثة الدفاع الوطنى .

٣ - بعثة التجارة والاقتصاد .　　٤ - بعثة الصداقة .

وفى ٢٠ سبتمبر بدأت حركة الشيوعية فى السيطرة على الجيش والمرافق .

وفى صباح الجمعة أول أكتوبر ١٩٦٥ أذاع راديو « چاكرتا » فى الساعة السادسة بياناً عن الانقلاب الشيوعى برئاسة الرفيق « عيديد » رئيس الحزب الشيوعى و« عمر دانى » قائد سلاح الطيران ، و« دول عارف » الضابط المكلف بتنفيذ العملية ، وقامت « مذبحة الجنرالات المسلمين » لولا أن الله نجى الجنرال « أبو الحارث ناسوتيون » القائد العام ، والجنرال « سوهارتو » قائد القوات البرية ، فقاما بقواتهما بعملية مضادة آزرها الشعب المسلم ، فحبط الكيد الشيوعى الذى ظل عشرين عاماً للوصول إلى تصفية الإسلام .. وشغل الوطنيين ابتداءً عن المستعمر الهولندى ، وانتهاءً عن التسلل الشيوعى الماركسى ، صينى أو روسى ..

إن الشرق والغرب معاً يريدان للإسلام أن يموت كفكرة من الممكن أن تنبعث عالمياً ، وأن يموت كرسالة من الممكن أن تقدم حلولاً جديدة لمشاكل الإنسان ، وأن يموت كحضارة تملك طاقة جبارة قادرة على استعادة نفسها من بين أعتى مراحل الهزيمة والدمار .

ومن هنا نجد الجواب على ما رأيناه ممن يحاربون التعريب فى الجزائر وأنهم شيوعيون ، التقت رغبة الاستعمار الفرنسى وعملائه برغبة الشيوعية وعملائها .

* *

● **رد فعل التبشير :**

والملاحَظ أن الحملات التبشيرية المكثفة ضد الإسلام قد تثمر الإسلام ، ففى أكتوبر ١٩٧٧ اعتنق الإسلام (١٠٧) من أهالى قرية « فلوسوايو » بجاوة ، وهى قرية بوذية تتعرض لنشاط تبشيرى مسيحى مكثف ، ومثل هذا حدث فى إفريقيا ، بل وفى البلاد الأوروبية التى تعانى من حملات المستشرقين المغلفة باسم العلم .

ففى المعسكر الإسلامى الذى انعقد فى مدينة « أبها » عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م) فى الجنوب الغربى للعربية السعودية وقد دعت إليه الندوة العالمية للشباب الإسلامى نخبة من شباب الإسلام فى العالم ، تحدث شاب من النمسا فى الثالثة والعشرين من عمره عن سبب إسلامه فقال :

« استمعت فى الجامعة إلى محاضرة عن الإسلام ألقاها أحد المستشرقين ، وأحسست أن المحاضر متحامل على الإسلام ، وهذا ما جعلنى متحفزاً لدراسة الإسلام دراسة ذاتية ، ثم اهتديت » (١) .

* *

---

(١) الاعتصام - جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ (مايو ١٩٧٨ م) .

● **جهود الملك فيصل :**

أرسل الدكتور رءوف شلبى رسالة مطولة إلى الملك فيصل بعنوان « يا سارية الجبل » يشرح فيها قصة التبشير فى جنوب شرق آسيا ، ويطلب منه القيام بإنشاء مدرستين إسلاميتين على غرار مدارس التبشير ، واستجاب الملك وأرسل له ما بنى مدرستين إسلاميتين بمدينة « بالمبانج » فى شارع « كنتن » بسومطرا - لا تزال تخرجان أفواجاً من شباب الإسلام وشاباته .

* *

● **وفى روسيا :**

وقد عرفت روسيا علوم الشرق الإسلامى بعد غزو « چنكيز خان » للعالم سنة ١٢٢٤ م . إذ ألقى عصا الترحال هناك ، واعتنق « بركة خان » المغولى عقيدة الإسلام فدخل معه أهل مملكته « التون إردا » فى الإسلام ، وكانت تضم ثلاثة أرباع روسيا . وبهذا فإن بذور الثقافة الإسلامية عميقة فى الأُمة الروسية بالرغم من أعنف أعمال استئصالٍ واجهتها ، جنَّدت لها الصليبية ثم اليهودية كل طاقاتها .

وحين ظهر الاستشراق - وهو الأسلوب الجديد للغزو الفكرى - وأحاطت أنظمته بالبلاد المجاورة لروسيا - وبخاصة فرنسا - آثرت روسيا أن تجرب هذا الأسلوب الجديد ، فأرسل المسيحى المتعصب « بطرس الأول » إلى الشرق خمسة شبان ليتعلموا العربية ، ثم جاءت الملكة « كاترين » فأمرت بتعليم العربية عام ١٧٦٩م ، واتصلت روسيا بالمدرسة الهولندية الاستشراقية ، وأفادت منها .

وكان للمستشرقين « بير » (١٦٩٤ - ١٧٣٨) ، و« كر » أحد مترجمى وزارة الخارجية الروسية دراسات واسعة فى علوم الشرق والإسلام .

وفى أوائل القرن التاسع عشر أنشئت منابر للغة العربية فى أشهر جامعات روسيا « قازان - موسكو - بطرسبرج » ، كما أنشئت منابر أخرى فى المدرسة التهذيبية العليا ومعهد « خركوف » ، ثم انتقل قسم اللُّغة العربية من « جامعة

---

(١) الإسلام وأرخبيل الملايو - المقدمة ص (ف) - الطبعة الأولى .

قازان » إلى « معهد الرهبان الأرثوذكس بمدينة « قازان » ، ليمنح الطُلاب القدرة على الموازنة بين القرآن والإنجيل فى التعبئة التبشيرية .

وفى عام ١٨٥٤ أنشأت عائلة « دى لازارف » الكلية الأرمنية - وهى أسرة لجأت إلى روسيا حينما اضطُهدت فى بلادها ، وقد انتقل إلى هذه الكلية قسم اللغة العربية من « جامعة موسكو » ، واعتُمد فى « جامعة بتروغراد » كرسى للدراسات الشرقية ، وظلت كل هذه الدراسات حتى ثورة أكتوبر ١٩١٧

وكان من الطبعى أن تتأثر حركة الاستشراق وغاياته فى روسيا بحركة وغايات الاستشراق فى أوروبا ، كما تأثرت روسيا بالفكر التحررى .

وكان من الطبعى كذلك أن ينشأ ردّ فعل لآثار الاستشراق والفكر الغربى التحررى بين المسلمين فى روسيا الآسيوية .

قال المستشرق « بيار روس » : ولا يسع المرء أن يتناسى أنه حتى قبل اندلاع الثورة الروسية فى « سان بيترسبورغ » وفى « موسكو » كانت آسيا الوسطى بالفعل متأثرة على نحو عميق بأهداف الشيوعية ، ولكن من منطلق إسلامى عميق الجذور ، فظهرت بين المسلمين حركة تدعو إلى التحرر ، وتناهض الاستعمار .

وكان أبرز ممثلى هذه الحركة السلطان « غالييف » التترى ، وأصله من « قازان » ، وكان يتطلع إلى مدّ الثورة إلى الشرق العربى والتركى بأسره ضد الإمبرياليات الرأسمالية ، وذلك باسم الإسلام والثقافة القرآنية .

وقد بدأ بمحالفة « ستالين » ولكن غدر به الشيوعيون المارسكيون وانتهى به الأمر إلى إبعاده ثم إعدامه فى ظروف غامضة .

وكان المسلمون يحملون حركة التقدم العلمى والتقنى مما دعا « لينين » إلى أن يعمل لهم ألف حساب ، فهم إلى جانب التقدم العلمى كانوا وقود حركة التحرر من كل مظاهر التخلف والطغيان القيصرى فى الجيش الأحمر ، ومن

أشهر فرقهم تلك التى قادها الجنرال « فرونزه » لتحرير الثورة من براثن الثورة البيضاء .

ومما ينبغى التنبه له - كما يقول المستشرق « بيار » - أنه على عكس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التى أطلقت الحروب الصليبية من عقالها فى القرن التاسع الميلادى ، وهى الحرب التى ما زالت مستمرة من بعض النواحى - كانت القيصرية والأرثوذوكسية بعيدتين عن هذه الحروب الصليبية . فقد كان كثيرون من الأمراء الروس ينتمون إلى أُصول إسلامية وعربية ، وقد جاء فى مذكرات الأمير « يوسفوف » : إن سجلات أُسرتى تعزو تأسيسها إلى رجل يقال فيه إنه من نسل علىّ بن أبى طالب ، وقد مارس خلفه ذروة السُلّطة فى مصر وفى سوريا ، ومثوى بعض هذه الذُرِّية فى مكة ، بينما لا نجد شيئاً من ذلك القبيل فى الأسر الحاكمة لأوروبا الغربية .

كما أن « سمرقند » تحظى بضم قبر أحد الأئمة الشيعة الذى يدعى هناك « دار الملك الباقى » ، كما أن العلاقات بين روسيا والعالَم الإسلامى كانت منذ ما يربو على ألف عام - ولا تزال - مستمرة ، وحركة الغدو والرواح لا تنقطع بين « سمرقند ، وبخارى ، وطشقند ، وفرغانة (قرجانة) ، واشخاباد ، وخيفا » .. إلخ ، وبين إيران ، وأفغانستان ، والعراق ، وتركيا ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر [1] .

ولما قامت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ جمعت من المخطوطات العربية والشرقية نحو خمسين ألفاً ، وشجعت المستشرقين على المضى فى أبحاثهم ، وذلك بُغية التعرف على طبائع الشرقيين لرسم سياسة أفضل معهم .

* *

(١) مجلة الحوادث : ٢٩/ ١٠/ ١٩٧٩

● **فى غزو أفغانستان :**

وحين غزت قوات السوفييت الأفغان لمناصرة نظام الحكم الشيوعى قام العلماء والمؤرخون السوفييت الذين يجرون أبحاثاً فى أفغانستان بنقل المادة الأثرية وغيرها من التراث الثقافى الأفغانى سراً إلى الاتحاد السوفييتى .

كما أن الباحثين والمؤرخين السوفييت المقيمين فى كابول - بدعوى كتابة تاريخ أفغانستان من زاوية جديدة - يقومون بحرمان البلاد من تراثها التاريخى والثقافى بما فى ذلك بعض المخطوطات النادرة ، وهم يرسلون هذه المادة الأثرية الإسلامية إلى الاتحاد السوفييتى .

ومن الجدير بالذكر أن نقل هذه الآثار إلى روسيا لا يواجه أية مشكلة ، حيث أصدرت حكومة « كارمل » بمناسبة الذكرى السنوية للصداقة « الأفغانية - السوفييتية » أوامر بعدم تفتيش حقائب السوفييت القادمين والمغادرين لأفغانستان ، فى الوقت الذى يُعفى فيه هؤلاء السوفييت من قيود التأشيرات والجوازات .

* *

● **وفى أمريكا :**

١ - من المستشرقين المبشرين « ولتر دارم » (١٨٧١ - ١٩٢١) وقد أصبح قساً فى سنة ١٩٠٤ ، وألقى أولى محاضراته عام ١٩١٤ فى « شاعرية إسرائيل » وألحقها بموضوع « مسيح القرن العشرين وكتب موسى الخمسة » .

٢ - « شارلز آدمز » ولد عام ١٨٨٣ ، وعين فى عام ١٩١٦ عميداً للمدرسة اللاهوتية بالعباسية بالقاهرة ، ورسالته للدكتوراة هى التى نَشر محتَوياتها المسمومة الشيخ على عبد الرازق فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » وقد ترجمت الرسالة بعنوان « التجديد فى الإسلام » (القاهرة ١٩٢٦) .

وحسبك أن تعلم عن علاقة أمريكا والسياسة الأمريكية بالتبشير أن مؤتمر « أدنبرج » التبشيرى كان عدد المندوبين الأمريكيين فيه (٥٠٥ مندوباً)

وذلك من مجموع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم (١٢٠٠) ألف ومائتا عضو كان من بينهم مستر « روزفلت » رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأسبق ، وإن أرسل اعتذاراً عن عدم استطاعته الحضور ، وحضره مستر « براين » الخطيب الأمريكى المشهور الذى رشح نفسه لرئاسة الجمهورية .

* *

● **ومن المعاصرين :**

١ - الدكتور « بايارد دودج » : مدير الجامعة الأمريكية ببيروت سابقاً والأستاذ بجامعة « برنستون » .

٢ - « هاورد ريد » : أمريكى نشأ فى بيئة تبشيرية فى تركيا ، وتخصص فى التاريخ الإسلامى والشئون التركية ، وعمل أستاذا ببعض الجامعات الأمريكية ، ثم ممثلاً لمؤسسة « فورد » فى بيروت . . له بعض المقالات .

٣ - الدكتور « ميلر بروز » : رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه ، وأستاذ الفقه الدينى الإنجيلى فى جامعة « ييل » ، وكان أستاذاً بجامعة « براون » ، وأستاذاً زائراً بالجامعة الأمريكية ببيروت ، ومديراً للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس .

٤ - الدكتور « هارولد ب . سميث » : أستاذ ونائب رئيس قسم الديانات بكلية « ووستر » بولاية « أوهايو » ، وكان رئيساً لقسم الفلسفة والأخلاق بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

٥ - الدكتور « چوستاف فون جروبنادم » : أستاذ اللُّغة العربية بجامعة « شيكاغو » .

٦ - الدكتور « روفائيل باتاى » : مستشار سابق فى شئون الشرق الأوسط بقسم الشئون الاجتماعية بهيئة الأمم المتحدة ، ومحاضر زائر بقسم اللُّغات والآداب الشرقية بجامعة « برنستون » وأستاذ الأنثروبولوچيا بكلية « درويس » بولاية « فيلادلفيا » .

٧ - الدكتور « شارلز ماثيوز » : عضو قسم البحوث بشركة البترول العربية الأمريكة بالظهران ، ومتخصص فى الشئون العربية ، وكان ملحقاً للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة ، وأستاذاً للعلوم الإنسانية بجامعة « رولاندز » بولاية « كاليفورنيا » .

٨ - الدكتور « جون ر . كرسويل » : أستاذ الفلسفة بجامعة « وست فرجينا » ، ملحق للعلاقات الثقافية فى بيروت .

٩ - الدكتور « هارولد ب . ألن » : مدير قسم التربية بمؤسسة الشرق الأدنى ، وكان مدير إدارة التعليم بمنطقة القوقاز فى مؤسسة إعانات الشرق الأدنى ، وبالمركز الرئيسى لتلك المؤسسة فى اليونان ، كما كان عضو بعثة « مترو » للتربية إلى إيران ، ومستشاراً فنياً ببعثة تموين الشرق الأوسط ورئيساً لبعثة اليونسكو فى الدول العربية .

١٠ - الدكتور « كارلتون س . كون » : أستاذ الأنثربولوچيا بجامعة « هارفارد » ، وأمين قسم علم الأجناس فى متحف « بنسلفانيا » .

١١ - الدكتور « جون أ . ويلسون » : أستاذ التاريخ المصرى القديم بجامعة « شيكاغو » ، ورئيس الجمعية الأمريكية الشرقية . وقد حاز جائزة « فولبريت » للبحوث العلمية بمصر .

١٢ - الدكتور « فيليب حتى » : وأصله لبنانى هاجر عام ١٩٢٠ إلى أمريكا وصار أستاذ التاريخ العربى بجامعة « برنستون » .

١٣ - الدكتور « لويس ف . توماس » : أستاذ اللُّغة التركية والتاريخ التركى بجامعة « برنستون » .

١٤ - الدكتور « ريتشارد نلسون فراى » : أستاذ دراسات الشرق الأوسط بجامعة « هارفارد » .

وهؤلاء ومعهم « الفرد كارلستون » ، و« كويلر يونج » و« كينيث كراج »

الآتى ذكرهم كانوا أعضاء أمريكانيين فى « مؤتمر الثقافة الإسلامية فى علاقتها بالعالم المعاصر » ، ومثلهم فى العدد من رجالات الفكر الإسلامى فى العالم الإسلامى . وقد دعت إلى المؤتمر جامعة « برنستون » ومكتبة الكونجرس الأمريكى ، وكانت الفائدة التى يستهدفها الأمريكان وضع أيديهم على الاتجاهات العامة للفكر الإسلامى فى العالم ، ثم توجيه هؤلاء الأعلام - فى ذكاء - إلى ما يريده الداعون إلى المؤتمر من تجميد التحرك الإسلامى الداعى إلى الشريعة الإسلامية نظاماً للحكم إقليمياً ودولياً [١] ومما اقترحه « روفائيل بتاى » : لجنة بحث موجهة تشكل من علماء الشرق الأوسط ومن العلماء الأمريكيين لبحث مشكلات التغيير الحضارى فى بلاد الشرق الأوسط وفهم القُوى التى تشكل الشرق الأوسط [٢] .

١٥ - الدكتور « ريتشارد ب . ميتشل » : هاجر والده الفلاح من لبنان إلى أمريكا فى عام ١٨٩٨ ، وتجنّس بالجنسية الأمريكية هو وأولاده الإثنا عشر ، وكان « ريتشارد » أصغرهم ، وقد التحق « ريتشارد » بالبحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد تسريحه اهتم بدراسة التاريخ الإسلامى ، وتاريخ الشرق الأدنى .

وزار مصر - لأول مرة - فى عام ١٩٥١ حيث بقى فيها عاماً درس فيه اللغة العربية ، واهتم بدراسة الحركة العمالية ، لأنه كان قيادياً ، ثم زار مصر مرة ثانية ، وقادته دراسة « التيار السلَفى عند رشيد رضا » إلى دراسة الإخوان المسلمين ، وكانت دراسته عن الإخوان للحصول على درجة الدكتوراة ، وقد تناولت جماعتهم من حيث تنظيماتها ، وأيديولوچيتها .

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، وهو مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر « برنستون » . جمعها محمد خلف الله ص ١٨ - ٢٦ ، ص ٧٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢

وقد عمل بالسلك الديبلوماسى الأمريكى ، قائماً بالأعمال فى السفارة الأمريكية باليمن الشمالى خلال السنوات التى سبقت ثورة ١٩٦٢ ، وكذلك شغل نفس المنصب فى الكويت ، ثم عمل أستاذاً للتاريخ المصرى والعربى الحديث بجامعة « ميتشيجان » .

١٦ - الأب « مكارثى » (١٩١٣) : ولد فى « سبرنج فيلد » بالولايات المتحدة سنة ١٩١٣ ، وتخرج من كلية « الصليب المقدس » فى الفلسفة من جامعة أكسفورد ، وانضم إلى الرهبنة اليسوعية سنة ١٩٣٣

١٧ - « ادوارد أبر » : أستاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى « واشنطن » .

١٨ - « أدرين كالفرلى » : وهو أمريكى متعصب رأس تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية لفترة من الزمن ، ومن محررى دائرة المعارف الإسلامية ، ومن الذين باشروا التديس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات ، وهو معروف باتجاهات تبشيرية سافرة .

١٩ - الأب « دوريجون » : ولد عام ١٩٢٤ فى « ديترويت » بالولايات المتحدة الأمريكة .

٢٠ - « أ . أ . الدر » : قسيس يُسهم فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا .

٢١ - « الفرد كارلتون » : أمريكى كان مديراً لكلية حلب ، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج .

٢٢ - « أ . بشوب » : قسيس يُسهم فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية المعروفة بعدائها للإسلام .

٢٣ - « ل . ل . براون » : قس أمريكى يُسهم أيضاً فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية .

٢٤ - « ك . بيكنز » : قس أمريكى يُسهم أيضاً فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية .

٢٥ - « د . م . دونالدسون » : قس أمريكى يُسهم أيضاً فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية ، ومؤلف « دين الشيعة » سنة ١٩٣٧

٢٦ - « هاورد ريد » : أمريكى نشأ فى بيئة تبشيرية فى تركيا ، وتخصص فى التاريخ الإسلامى والشئون التركية ، وكان أستاذاً ببعض الجامعات الأمريكية ثم ممثلاً لشركة « فورد » فى بيروت ، له بعض المقالات ولا تُعرف له كتب .

٢٧ - الدكتور « كويفر يانج » أمريكى مارس التبشير فى إيران ، كان أستاذاً فى قسم الدراسات الشرقية ، ثم رئيساً له بجامعة « برنستون » فى أمريكا ، والآن مدير هذا القسم ، ومستشار وزارة الخارجية فى شئون الشرق الأوسط وبخاصة شئون إيران ، له مقالات متفرقة .

٢٨ - « جبرييل باير » : الأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس المحتلة ، وله من الدراسات الشرقية « تاريخ ملكية الأرض الزراعية فى مصر » [١] .

٢٩ - « جون مايناردد » : أمريكى متعصب ، محرر فى « مجلة الدراسات الشرقية » الأمريكية وخاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم .

٣٠ - « س . م . زويمر » : مستشرق مبشر ، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية التبشيرية ، ومؤلف كتاب « الإسلام .. تحدٍّ لعقيدة » و« الإسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى عام ١٩١١ بـ « أكنو » فى الهند ، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين .

---

(١) ريتشارد ميتشيل : الإخوان المسلمون - ترجمة صلاح عيسى فى تقديمه ، ص ٧

٣١ - « كينيث كراج » : حصل على الدكتوراة من جامعة « أكسفورد » بإنجلترا عام ١٩٤٧، والدكتور « كينيث كراج » أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام ، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ثم عمل رئيساً لتحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية التبشيرية ، ورئيساً لقسم اللاهوت المسيحى فى « هارتفورد » ومتعهداً لإمداد الجهات التبشيرية بالمبشرين ، ومن كتبه : « دعوة المئذنة » الذى أصدره عام ١٩٥٦ ، وعمل مديراً لبيت القديس « چوستين » ببيروت ، وعميداً لكلية « ونجورث » بإنجلتراً ، وعمل بالتدريس فى جامعة « عيدان » بنيجيريا - كما عمل بالكنيسة الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٣٠

٣٢ - سعيد قدورى : وهو عراقى الأصل ، ولكنه يرأس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة « چون هوبنكز » فى واشنطن ، ويعمل مديراً لمعهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن ، وهو شديد التعصب والحقد على الإسلام ، ومن كتبه التى تنمُّ عن شخصيته هذه كتاب « الحرب والسلام فى الإسلام » .

٣٣ - الدكتور « كريمرز » : هولندى ، كثير الطعن فى الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية ، ومثله من محرريها : « أ . هـ . روجبوس » ، و« ل . أ . رل » و « هـ . ينبر » « ونسنك » المشهور بتخبطه فى عرض الإسلام

٣٤ - « نالينو » : إيطالى معروف بكتاباته ضد الإسلام ، كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق [١] .

* *

(١) المبشرون والمستشرقون فى الإسلام ، للدكتور محمد البهى ص ١٦ - ٢٧

● هل انقطعت الصلة بين الاستعمار والاستشراق والتبشير ؟

زعم بعض المستشرقين والمتأثرين بكتاباتهم من العرب أن مرحلة الحقد كانت ناشئة عن شعور بالحقد على المسلمين ناشئ عن الشعور بالنقص ، فلما أمسك الغرب بزمام القوة بردت نار الحقد ، وأصبحت دراسات أكاديمية . . وهذا غير صحيح لعدة اعتبارات وبراهين :

١ - استمرار بقاء كثير من المؤسسات التبشيرية الاستعمارية بين ظهرانينا كمدارس الإرساليات والجامعات الأمريكية بالقاهرة وبيروت واستانبول .

٢ - أن المستشرقين فى كل البلاد الاستعمارية تقريباً يتبعون وزارة الخارجية ، ولا يزالون كذلك مثل « ميتشيل » الذى أصدر فى السبعينيات كتابه « الإخوان المسلمون » ، مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست علمية ، فـ « أنتونى إيدن » رئيس وزراء إنجلترا السابق الذى شغل من قبل منصب وزير الخارجية ، وأسهم فيما بعد فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ لم يكن يتخذ قراراً سياسياً يتصل بالشرق الأوسط إلا بعد الرجوع إلى المستشرقين من أساتذة جامعة « أكسفورد » ، وكلية العلوم الشرقية من أمثال « مرجليوث » ، كما أن المستشرقين اليهود لا يزالون يعملون لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية ، فقد أشاد « يورى إيفانوف » اليهودى الماركسى فى كتاباته بقول « بيجن » أمام ممثلى الجيش الإسرائيلى فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٨ : « أنتم أيها الإسرائيليون يجب ألا تكونوا رءوفين عندما تقتلون عدوكم ، عليكم أن لا تشفقوا عليه ما دمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية (الإسلامية) التى سنبنى على أنقاضها حضارتنا » .

وليس ببعيد تلك المؤتمرات اليهودية الأمريكية التى عُقدت فى الإسكندرية وبعض العواصم الغربية ، واشترك فيها بعض الشيوعيين المصريين بهدف أو تحت مظلة الدراسات النفسية المطلوبة من أجل وجود حالة طبيعية بين العرب وإسرائيل فى أواخر السبعينيات ثم أوائل الثمانينات .

٣ - وقد أشار الدكتور على حسنى الخربوطلى إلى أن الاستشراق والاستعمار قد يلتقيان أحياناً فى طريق واحدة إذا دعت الحاجة ، أو حتّمت

الضرورات السياسية ذلك ، وأن المستشرقين ركزوا مؤخراً على الدول الإفريقية الآسيوية غير العربية ، ووجدوا فيها مجالاً جديداً يصولون فيه ويجولون بسبب ظروفها المحلية واستمرار ارتباط بعضها بالدول الاستعمارية بروابط سياسية ، وذلك بعد أن بارت كتاباتهم فى البلاد العربية بسبب يقظة أبنائها لدسائسهم ، وسطحية ما يكتبونه ، وعدم موضوعيته .

٤ - لا تزال هناك المجلات الاستشراقية والمؤلفات والبحوث ودوائر المعارف التى يحررها المستشرقون تقذف بالأكاذيب والمغالطات والشبهات على الإسلام وأهله ، ويستعينون بتلاميذهم فى بث هذه المفتريات ، بل ويحيون العصبيات العنصرية لتمزيق الشرق الإسلامى بين فرعونية فى مصر ، وبربرية فى شمال إفريقيا ، وكردية فى كل من العراق وإيران . . إلخ .

٥ - ولا يزال بعض المستشرقين المعاصرين يعترفون بما نقول ، فمثلاً يقول « برنارد لويس » : « لا تزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة وراء الحواشى المرصوصة فى كتابات البعض الآخر منهم » .

ويقول « نورمان دانيل » : « على رغم المحاولات التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكُتَّاب المسيحيين عن الإسلام ، فإنهم لن يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما يتوهمون » [١] .

* * *

(١) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ص ٤٥ - ٤٦ ، والدكتور محمد عليان : أضواء على الاستشراق ص ١٦ - ١٨